جمر نور

أول مجلة سورية حرّة - شهرية شاملة - تصدر عن التجمع الوطني الحرّ

العدد 4 - كانون الأول - ديسمبر 2013

يوميات السوريين:

عدرا العمالية - القامشلي - حلب

حنين:

فوتوغراف .. جورج شهدا

ملف العدد

التحول الديمقراطي في سوريا 3 من 4

حوار العدد مع

الروائي

خالد بريش

فكر: د. أحمد برقاوي - د. محمد حبش - سلام كواكبي

سياسة: عبد القادر عبدللي - صقر بدرخان - وائل السوّاح - كتاب: جان بيير فيليو - قراءة: غادة جاويش

تحقيق العدد: إعلام الثورة .. هل نرميه بحجر ؟ - عدنان عبدالرزاق

شعر تحت القصف / شعر التغريبة السورية نجاتي طيّارة - عماد الدين موسى - ياسر الأطرش

ملف المسرح: المسرح السوري 1960 - 2010 - الزمن المسرحي

مجلة سورية شهرية شاملة

سياسية - فكرية - ثقافية

اقتصادية - اجتماعية

تصدر عن التجمع الوطني الحرّ

للعاملين في الدولة السورية

الإشراف:

المكتب الاعلامي

في التجمع الوطني الحرّ

مدير التحرير:

نجم الدين سمّان

مراسلون:

خولة دنيا

محمود الشرع

رشا عمران

حسين برو

يوسف الرشيد

فتون الوعرية

نجمة الصباح مصطفى

ازاد

سكرتير التحرير:

عبد الله غبّاش

ايميل المجلة: tawasol_sy@yahoo.com

الموقع الالكتروني: http://syria-nass.com

الإخراج الفني:

مهيار الدمشقي

المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

التجمع الوطني الحر

للعاملين في مؤسسات الدولة السورية

ينطلق التجمع الوطني الحر للعاملين في مؤسسات الدولة السورية من الإيمان العميق بمشروعية الثورة السورية التي انطلقت لإنهاء مرحلة الاستبداد التي حرم فيها المواطنون من الحرية والكرامة، والتي اختطفت الدولة السورية لتصير دولة أمنية تحكم بالقمع والترهيب من فئة تهتم بمصالحها الشخصية، وبثرائها غير المشروع.

ولقد كنا نحن العاملين في الدولة، الرافضين لمظاهر الفساد وآلياته، نحاول إصلاح ما فسد . لكننا نصطدم بجبروت الدولة الأمنية التي قبضت على الحكم ولم يكن متاحاً للجميع أن يغامروا بمواقف فردية تجر عليهم تهم الخيانة وتعرض أطفالهم وأسرهم لويلات باتت قاتمة ومخيفة بعد أن تم تقديم صور القمع المريعة في الثمانينيات .

ولأنا نعتبر أنفسنا عاملين في الدولة التي بناها أجدادنا منذ مائة عام، ولسنا أجراء عند نظام الحكم، فقد رفضنا العمل بأمرة هذا النظام المجرم، وخدينا غروره وجبروته، وأعلنا انضمامنا لثورة شعبنا، ووضعنا كل طاقاتنا وإمكاناتنا تحت تصرف الثورة، وانضوينا تحت مظلتها الرحبة عبر الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، وشكنا في إطاره هذا التجمع الوطني الحر للعاملين في مؤسسات الدولة، لنحافظ على بنية الدولة السورية، وعلى مؤسساتها، ولنستعد لمواجهة ما قد يحدث من فوضى واضطراب لحظة السقوط المرتقب للنظام، وقد ينهار فجأة فيحدث فراغ إداري نأمل أن يملأه على الفور العاملون في إدارات الدولة ومؤسساتها ممن سارعوا للانضمام إلى ثورة شعبهم، وجندوا طاقاتهم فيها .

ونحن نحاول في هذا التجمع لم شمل العاملين الذين انتشروا في بلاد الهجرة، والذين بقوا في عملهم يساندون الثورة، لتوظيف إمكاناتهم في بناء جسد الدولة القادمة .

وقد أعلنا منذ بداية تأسيس التجمع أننا لسنا حزباً سياسياً، فالهدف الذي نتوحد حوله هو إسقاط النظام، وانتصار الثورة، وتتويج الجيش الحر جيشاً وطنياً يحمي الشعب ويدافع عن حريته وكرامته، وسيبقى عملنا مكملاً لعمل الائتلاف الوطني، ومنسجماً مع إدارته وتطلعاته ، مستمداً من الشعب ومن ثورته المباركة طاقة حيويته ونشاطه ومعيار سلوكه وسعيه إلى أهدافه.

والله الموفق.

مجلس الأمناء

فهرس

بورصة الثورة السورية ... وفق مؤشر أنقرة

عبد القادر عبد اللي

20

البركان و المستنقع

د.أحمد برقاوي

40

ساعات فاصلة على حافة الحرب في سوريا

د.محمد حبش

44

تحطيم الأيقونات بين الوهم و الإرهاب الثقافي

سلام كواكبي

48

عدرا العمالية .. الخاسر الأكبر هم المدنيون

زويا بدّور

56

الأطباء الشرفاء

عارف حمزة

64

الشتات الفلسطيني في غريب النهر

محمود شاهين

100

المسرح السوري 1960 - 2010

نجم الدين سمّان

14

السوريون في مدينة المفرق الأردنية

خالد عوّاد الأحمد

128

عام جديد و .. رؤى جديدة

د. رياض نعسان آغا

قبل عام وبالتحديد في 15 ديسمبر 2012 عقد مؤسسو التجمع الوطني الحر للعاملين في الدولة السورية أول اجتماع لهم ليعلنوا من العاصمة الأردنية عن إطلاق تجمعهم بقيادة رئيس الوزراء السوري الدكتور رياض حجاب الذي انشق عن النظام في شهر أغسطس 2012 وانضم إلى ثورة الشعب السوري وسارع إلى حشد طاقات العاملين في الدولة وقد تشتت شملهم في بلاد الهجرة والنزوح. وهم من خيرة الطاقات والكفاءات ، وحسبهم أنهم من أصحاب الضمائر الحية التي رفضت البقاء في كنف نظام يقتل شعبه ويدمر بلده .

وقد تم بالتوافق اختيار مجلس للأمناء ضم شخصيات شغلت مواقع هامة في الدولة ، وبدأت العمل لتوسيع إطار التجمع حتى تمكن خلال فترة يسيرة من أن يضم مئات العاملين ، وأن ينشىء مجالس مهنية حسب اختصاصات أعضائه من دبلوماسيين وقضاة وأطباء ومهندسين ، وأن يضيف إليها مجلساً للمرأة مع وجودها الطبيعي في المجالس الوظيفية الأخرى .وكان التجمع قد أعلن أنه جزء من الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة لحرصه على وحدة العمل الوطني ، وعلى دعم الائتلاف بالكفاءات الوطنية الوظيفية ، التي يشكل الحفاظ عليها حفاظاً على الدولة وصوناً لها من السقوط في هاوية الفوضى والتدمير . وقد أخطأ بعض المعارضين حين اعتبروا موظفي الدولة جزءاً من النظام، ولم يحسنوا الترحيب بانشقاقهم مما دعا بعض المنشقين إلى الابتعاد عن قوى المعارضة وهي بأمس الحاجة إلى طاقاتهم وخبراتهم وبخاصة الدبلوماسيين حيث خسرت المعارضة ما أتيح لها من فرص عمل دبلوماسي متقن . ولم يكن التجمع قادراً على لم شمل جميع العاملين في الدولة من الذين هاجروا بحثاً عن الأمان وخوفاً من براميل الموت العشوائية ومن صورايخ سكود وقنابل الكيماوي، ومن الاعتقال المريع إن هم عبروا عن رفضهم قتل الشعب وتدمير مدنه وقراه. فقد تجاوز العدد طاقة التجمع التنظيمية، ولاسيما لكون عدد العاملين في الدولة يزيد على مليون وستمائة ألف من الكوادر الوظيفية الرفيعة المستوى، وقد اضطر مئات الآلاف منهم للهرب أو الهجرة وتشتوا في بقاع الأرض، وفيهم نخب من التكنوقراط المتخصصين ومن الكفاءات النادرة. ولقد كنا في التجمع ندرك أن هذا التنظيم المهني هو خزان الطاقات الوظيفية التي ستمد أية حكومة قادمة بالكوادر البشرية ، ولاسيما تلك التي تشكل الدولة العميقة في مواقع العمل الخدمي وفي الحفاظ على البنى التحتية . ولقد حرصنا على أن يبقى كثير من العاملين في الدولة في مواقعهم الوظيفية في الداخل ، كيلا يحدث فراغ كبير ينعكس سلباً على حياة المواطنين ، وكي يحافظوا على البقية الباقية من بنى الدولة ومؤسساتها التي يدمرها النظام ضمن خطة منهجية ضمن مشروعه الواضح في تدمير سورية وإبادة شعبها وتهجيره ، كيلا يبقى فيها سوى العصبة التي تؤيده وتسانده ، والتي أوغلت معه في الدم السوري. وحين اقترب موعد تشكيل أول حكومة مؤقتة أعلنها الائتلاف برئاسة الأخ الدكتور أحمد طعمة ، سارع التجمع للّقاء به ولتقديم طاقات التجمع ومجالسه لتكون في إطار الحكومة الناشئة، عوناً لها وكادراً بشرياً مدرباً قادراً على القيام بالمهمات الوطنية المطلوبة.واليوم يتطلع التجمع إلى بناء أفق جديد وإلى هيكلة جديدة ، تمكنه من الإسهام في العمل السياسي بشكل أفضل، وسيتابع دوره في الحفاظ على العاملين في الدولة وبخاصة النخب والتكنوقراط وذوي الاختصاصات الهامة ،لتوظيف إمكاناتهم بشكل أكثر فاعلية في بناء سورية الجديدة التي ندعو الله أن يأذن بولادتها منتصرة على الظلم والطغيان والاستبداد.

خطة التحول الديمقراطي في سوريا

3 من 4

د.رضوان زيادة

مدير المركز السوري

للدراسات السياسية والاستراتيجية

دور الأجهزة الأمنية في الثورة السورية

مع اندلاع الحركات الاحتجاجية في شهري شباط و آذار من عام 2011 إثر موجة ثورية عارمة غزت عدداً من الدول العربية مثل تونس و مصر و ليبيا و اليمن، لعبت الأجهزة الأمنية جميعها دوراً كبيراً في محاولة منها لإخماد الاحتجاجات و صد المتظاهرين السلميين. و قد قامت الأجهزة الأمنية باعتقال و التحقيق مع عشرات المعارضين السياسيين و منعهم من السفر، كما امتلأت السجون بآلاف المعتقلين من الناشطين و الناشطات المحتجين على سياسات النظام و الذين تعرض عدد كبير منهم للتعذيب و بعضهم قضى جراء ذلك، إلى جانب العديد من الاعتقالات التعسفية غير المسببة. كما نشرت الأجهزة الأمنية عناصرها بين المتظاهرين وتم خطف العديد من قادة الحراك الشعبي ومعظمهم من الشباب، واستخدمت الهراوات والغاز المسيل للدموع قبل أن يتم استخدام أساليب أكثر عنفاً ودموية منذ المظاهرات الأولى في شهر آذار من العام 2011.

مع اندلاع الحركات الاحتجاجية في شهري شباط و آذار من عام 2011 إثر موجة ثورية عارمة غزت عدداً من الدول العربية مثل تونس و مصر و ليبيا و اليمن، لعبت الأجهزة الأمنية جميعها دوراً كبيراً في محاولة منها لإخماد الاحتجاجات و صد المتظاهرين السلميين. و قد قامت الأجهزة الأمنية باعتقال و التحقيق مع عشرات المعارضين السياسيين و منعهم من السفر، كما امتلأت السجون بآلاف المعتقلين من الناشطين و الناشطات المحتجين على سياسات النظام و الذين تعرض عدد كبير منهم للتعذيب و بعضهم قضى جراء ذلك، إلى جانب العديد من الاعتقالات التعسفية غير المسببة. كما نشرت الأجهزة الأمنية عناصرها بين المتظاهرين وتم خطف العديد من قادة الحراك الشعبي ومعظمهم من الشباب، واستخدمت الهراوات والغاز المسيل للدموع قبل أن يتم استخدام أساليب أكثر عنفاً ودموية منذ المظاهرات الأولى في شهر آذار من العام 2011. شكلت ظاهرة الشبيحة ذعراً كبيراً لدى المدنيين) وهي عبارة عن ميليشات موالية للحكومة تحصل على سلاحها من قبل الأجهزة الأمنية ويمولها أشخاص من عائلة الأسد)، خصوصاً في مناطق دمشق وحمص ودرعا وحماة وإدلب وحلب. ولم تكتف الأجهزة الأمنية والمدعمة بالشبيحة بمطاردة المتظاهرين وفض الاحتجاجات ومنعها، بل تجاوزت ذلك باقتحام دور العبادة التي أصبحت منطلقاً للتظاهرات العارمة وبالذات أيام الجمع والتي أصبحت موعداً أسبوعياً لارتقاء عشرات ومئات من القتلى على أيدي هذه الأجهزة الأمنية والشبيحة، كما جرت عمليات واسعة لاقتحام منازل ومحال تجارية بحثاً عن المطلوبين وإرهاباً للبيئة الحاضنة لتلك الحركات الاحتجاجية، وقد تم اعتقال العديد من الفتيات والأطفال من أجل تلك الغاية، ونشرت المئات من الروايات عن حالات اغتصاب وتعذيب لآلاف الفتيات والسيدات والأطفال، قبل أن تظهر صورة طفل في الثالثة عشر من العمر في مدينة درعا و قد قتل جراء التعذيب المستمر و إطفاء السجائر على جسده و قطع ذكره، مما أشعر موجات غضب كبيرة في الشارع السوري و المجتمع الدولي رغم أن النظام ممثلاً بالرئيس الأسد نفى مسؤوليته عن ذلك. ومع انتهاج النظام السوري الحل الأمني في وجه المحتجين والمتظاهرين وانتشار ظاهرة الشبيحة، عمد المتظاهرون لتشكيل لجان شعبية من سكان المنطقة تكون مهمتها حماية المنطقة من المجرمين وتحذير المتظاهرين من أي تدخل أمني قادم، مما دفع النظام لإقحام قواته العسكرية في مواجهة الشعب الأعزل مع تعذر وقف الحركات الاحتجاجية في المدن السورية على أجهزة الأمن. وفي حقيقة الأمر فإن هذا لم يكن السبب الوحيد لتدخل الجيش، فقد تدخلت قوات من الفرقة الرابعة لصد مظاهرات و احتجاجات عارمة و غاضبة في درعا إثر حادثة اعتقال أطفال كتبوا على جدران مدرستهم كلمات معادية للنظام و رفضت الأجهزة الأمنية و محافظ درعا تسليمهم لأهاليهم حتى بعد تدخل وجهاء العشائر الدرعاوية.

> الشارع السوري بشكل عام كان يخبئ شيئاً كبيراً من الرفض و الكراهية لأجهزة الأمن التي انتهكت حقوق المدنيين و أسرفت في ذلك

لقد قدمت الأجهزة الأمنية و بشكل تصاعدي متسارع، أسوأ نماذجها القمعية منذ نشأتها خلال الثورة السورية أي في العامين المنصرمين، مما أجج المشاعر الشعبية و خلق ردة فعل كبيرة لدى الشارع جعلته يصر

على مطالبه و يرفع السقف إلى أعلى مستوىً ممكن.

ولعله إضافة إلى ردة فعله تجاه الأسلوب القمعي الذي انتهجته أجهزة الأمن السورية، فإن الشارع السوري بشكل عام كان يخبئ شيئاً كبيراً من الرفض و الكراهية لأجهزة الأمن التي انتهكت حقوق المدنيين و أسرفت في ذلك بشكل جعل الفرع الأمني أسوأ مكان يخطر على بال أي سوري، و تمثل ذلك في هجوم العديد من المتظاهرين على المراكز الأمنية و الحواجز الأمنية الكثيرة و المنتشرة في كل المناطق السورية. و هنا يجدر الإشارة إلى أن نسبة أبناء الطائفة العلوية الكبيرة في الأجهزة الأمنية و خصوصاً في الأجهزة العسكرية منها ساهم في إضافة البعد الطائفي لدى كلا الطرفين، أي الأجهزة الأمنية و المتظاهرين المدنيين، وهو ما انعكس بشكل أكبر عندما بدأ الصراع يأخذ طابعاً عسكرياً، و بدا واضحاً و جلياً مع ارتكاب عدد من المجازر بحق المدنين و بطرق وحشية قاسية في مناطق الاحتكاك الطائفي بين العلويين و السنة و تحديداً غرب سوريا.

ومن أشهر المجازر التي ارتكبت في السنتين الأخيرتين، و التي تتهم فيها الأجهزة الأمنية والقوات المسلحة إلى جانب الشبيحة هي:

-مجزرة جمعة أطفال الحرية في مدينة حماة، في الثالث من حزيران عام 2011 خرجت مظاهرة تعد من أكبر المظاهرات في الثورة السورية و قدر عدد المتظاهرين بحوالي500000 على أقل تقدير فيما سمي بجمعة أطفال الحرية رغم إعلان الدولة حظر التجول في المدينة. و رغم هذا الحشد الكبير فقد أصر الأمن على مهاجمة المتظاهرين مرتكباً مجزرة قدر عدد القتلى جراءها ب 70 قتيلاً.

-مجزرة كرم الزيتون في حمص في 11-3-2012 ارتكب من يسمون بالشبيحة مجزرة بحق نساء و أطفال في منطقة كرم الزيتون في مدينة حمص إثر قصف عنيف على المدينة من قبل قوات الجيش. و يتهم معارضون الشبيحة و عناصر الأمن بقتل أطفال و نساء بالسكاكين بعد اغتصابهم و تعذيبهم. و قدر عدد القتلى بأكثر من سبعين معظمهم نساء و أطفال. كما اعتبرت المجزرة

الطريق إلى دمشق

من أبشع الجرائم التي ارتكبها النظام السوري كونها استهدفت مدنيين و كونها أخذت صورة طائفية، إذ تم تهجير معظم أهالي المنطقة خوفاً من تكرار المجزرة مما جعل بعض أطياف المعارضة تصف ذلك بالتطهير الديني.

-مجزرة الحولة في مدينة حمص، في يوم جمعة دمشق موعدنا في 2-5-2012، ارتكب الجيش و الشبيحة مجزرة مروعة في مدينة الحول معظم ضحاياها من النساء و الأصفال، و بحسب رئيس بعثة المراقبين الدوليين فقد بلغ عدد القتلى 29 قتيلاً على الأقل، و تعتبر تلك المجزرة منحنىً خطير في الأزمة السورية لاعتقاد الكثيرين بأنها كانت ذات بعد طائفي كونها مدينة سنية و معظم المهاجمين من الطائفة العلوية.

-مجزرة القبير في شهر حزيران من عام 2012 في مدينة حماة راح ضحيتها 100 قتيل جزء كبير منهم من الأطفال و النساء، و يعتقد أنها حملت طابعاً طائفياً.

-مجزرة التريمسة في حماة يوم 21-7-2012، و قد جرت بمشاركة قوات الجو السورية التي قصفت المنطقة إلى جانب قذائف المدفعية، في حين يتهم المعارضون أجهزة الأمن و الشبيحة بقتل العشرات من المدنيين بدم بارد و ذلك بالسكاكين و من بينهم نساء و أطفال، و يقدر عدد القتلى بأكثر من 100 قتيل، في حين تدعي المعارضة بأن العدد فاق 200 قتيل.

-مجزرة داريا في ريف دمشق، و ذلك في 26-8-2012 إذ تروي المعارضة أن عدد من عناصر الفرقة الرابعة قاموا بعمليات إعدام و تصفية لأكثر من مئتين من أبناء المدينة إثر مداهمة منازلهم، و قد ظهرت صور

فيديو تشير إلى هول المجزرة و حجم الخسائر البشرية.

> الرد القاسي و العنيف من قبل الأجهزة الأمنية والجيش السوري زاد الغضب و أجج المشاعر.

من المؤكد أن أحد أهم أسباب الغضب في صدور السوريين و الذي انفجر بشكل مدو إثر اندلاع الثورة السورية في آذار 1102 هو التركيبة الأمنية للنظام، و مما لا شك فيه أن الرد القاسي و العنيف من قبل الأجهزة الأمنية والجيش السوري زاد الغضب و أجج المشاعر. كما أنه وكما ذكر سابقاً فإن النظام السوري و كأي نظام قمعي استخدم الأجهزة الأمنية لحماية موقعه و نظامه وساهم بتوسيعها فيما يخدم مصلحة النظام و ما يفوق طاقة الشعب على التحمل.يقوم إصلاح القطاع الأمني على فكرة توفيرالأمن لجميع المواطنين،حتى يتسنى لهم ممارسة حرياتهم السياسية والاقتصادية والثقافية، وتوفير فرص الخلق والإبداع، وحرية التفكير والتعبير.كماسَيخلق إعادة بناء تلك الأجهزةمؤسسات أمنية تحت إدارة مدنية تتمتع بالشفافية و المساءلة وتضمن النظام العام والدفاع عن سيادةسوريا ووحدة أراضيها والحفاظ على النسيج الاجتماعي. ويمكن تعريف عملية إصلاح القطاع الأمني بأنها"تحويلا للنظام الأمني الذي يشمل جميع الأطراف الفاعلة و أدوارها ومسؤولياتها وإجراءاتها بحيث تتم إدارته وتشغيله على نحو أكثر اتساقًا مع المعايير الديمقراطية والمبادئ السليمة للحكم الرشيد مما يساهم في خلق جهاز أمني جيد الأداء .وتتأصل فلسفة إصلاح القطاع الأمني في مفهوم الأمن الإنساني أو المجتمعي،ليكون الهدف الرئيسي لجهاز الأمن ومؤسساته هوأمن المواطن وضمان مواطنته، واحترام حقوق الانسان،والمحافظة على النظام العام والدفاع عن سيادة سوريا ووحدة أراضيها ونسيجها الاجتماعي المتنوع. وتتناقض هذه الفكرة بوضوح مع دور أجهزة الأمن المتعددة الأسماء والوظائف أثناء حكم آل الأسد.

ويجب أن يرتكز بناء الأجهزة الأمنية السورية الجديدة على المبادئ التالية :

-توفير الأمن بفعالية لجميع المواطنين السوريين،بحيث يتمكنون من ممارسة حرياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، معا للحفاظ على النظام العام واحترام حقوق الإنسان والدفاع عن سيادة الدولة ووحدة أراضيها.

-بناء علاقة متينة بين أجهزة الأمن والشعب، والمجتمع المدني، قائمة على المبادئ الديمقراطية، وأن تعمل كل من القوات المسلحة وأجهزة الأمن وقوات الشرطة تحت إمرة سلطة مدنية منتخبة.

-تحسين طرق تقديم الخدمات الأمنية والعدلية، للمواطن السوري. وتقديم التدريب الاحترافي وفرص التطور لجميع العاملين في القطاع الأمني.على أن يشمل هذاالتدريب مجالات حقوق الإنسان والمواطنة، بالإضافة إلى المهارات التقنية كالتحقيق الجنائي و إدارة الحشود وإدارة الأزمات المختلفة. ووضع إطار قانوني واضح لتحديد اختصاصات الأجهزة الأمنية، متفقا مع المعايير والاتفاقات الدولية لحقوق الإنسان.

-فصل القطاع الأمني عن السياسة بشكل كامل،بما يمنع التحزّب داخل هذا القطاع.وأن يُعنى القطاع الأمني بخدمة مصالح الشعب، و ليس خدمة أيةمصالح حزبية أو طائفية

-إنشاءأنظمةإدارة ورقابة ومساءلة فعالة للجهازالأمني، بحيث يحق لتلك الجهات الرقابية الإطلاع على الوثائق التي تكشف الأداء المهني والوطني للمؤسسة الأمنية، وفق معايير الأداء المهني العالي المستوى.

-تعزيز ثقافة أن القطاع الأمني هومكون أساسي من مكونات النظام الديمقراطي الجديد الخادم للمجتمع ومواطنيه، القائم على تطبيق العدالة الانتقالية وسيادة القانون وتعزيز وتجسيد فكرة المواطنة .

> لا بدّ من تحسين وسائل الرقابة والمساءلة القانونية والمجتمعية داخل وزارة الداخلية أوخارجها من خلال الرقابة البرلمانية والقضائية

الطريق إلى دمشق

وتلك الثقافة هي نقطة الفصل الحقيقية بين الأنظمة الديمقراطية و الأنظمة الاستبدادية.وعند البدء بعملية البناء لا بدّ من تحسين وسائل الرقابة والمساءلة القانونية والمجتمعية، داخل وزارة الداخلية أوخارجها،من خلال الرقابة البرلمانية والقضائية. كما يمكن أن تؤدي قوى المجتمع المدني والمواطنين دوراً مهماً في تعزيز المساءلة من خلال آليات المراقبة .تشَكِّل العناصر المشار إليها ركائز إصلاح القطاع الأمني،وجوهر نجاح التحول الديمقراطي في بلدان عديدة مرتب هذا لمرحلة. ففي إسبانيا تم اتخاذ مثل هذه الخطوات تدريجياً بعدوفاة الديكتاتور الجنرال فرانسيسكو فرانكو في1975،ماأدى إلى انتقال السلطة إلى الحزب الاشتراكي بعد انتخابات تاريخية عام 1982وفي جنوب أفريقيا،قدمت "الأوراق البيضاء" برنامج إصلاح شامل للدفاع الوطني في تشرين أول عام 1994، بعد الخلاص من نظام التمييز العنصري . إن أهم خطوات إعادة بناء القطاع الأمني تتحدد بما يلي:

-التدخل السريع لقوى الأمن الداخلي والجيش الحر، بالتعاون مع اللجان المحلية غير المسلحة على مستوى القرى والأحياء في المدن فور إسقاط النظام، لحماية أمن الناس وممتلكاتهم وحماية المراكز والمؤسسات الهامة في القطاع العام، كالمصالح العقارية والبنوك والأحوال المدنية والآثار والمتاحف والسجون والمصحات العقلية.

-حلّ كل الأجهزة الأمنية للنظام السابق، باستثناء قوى

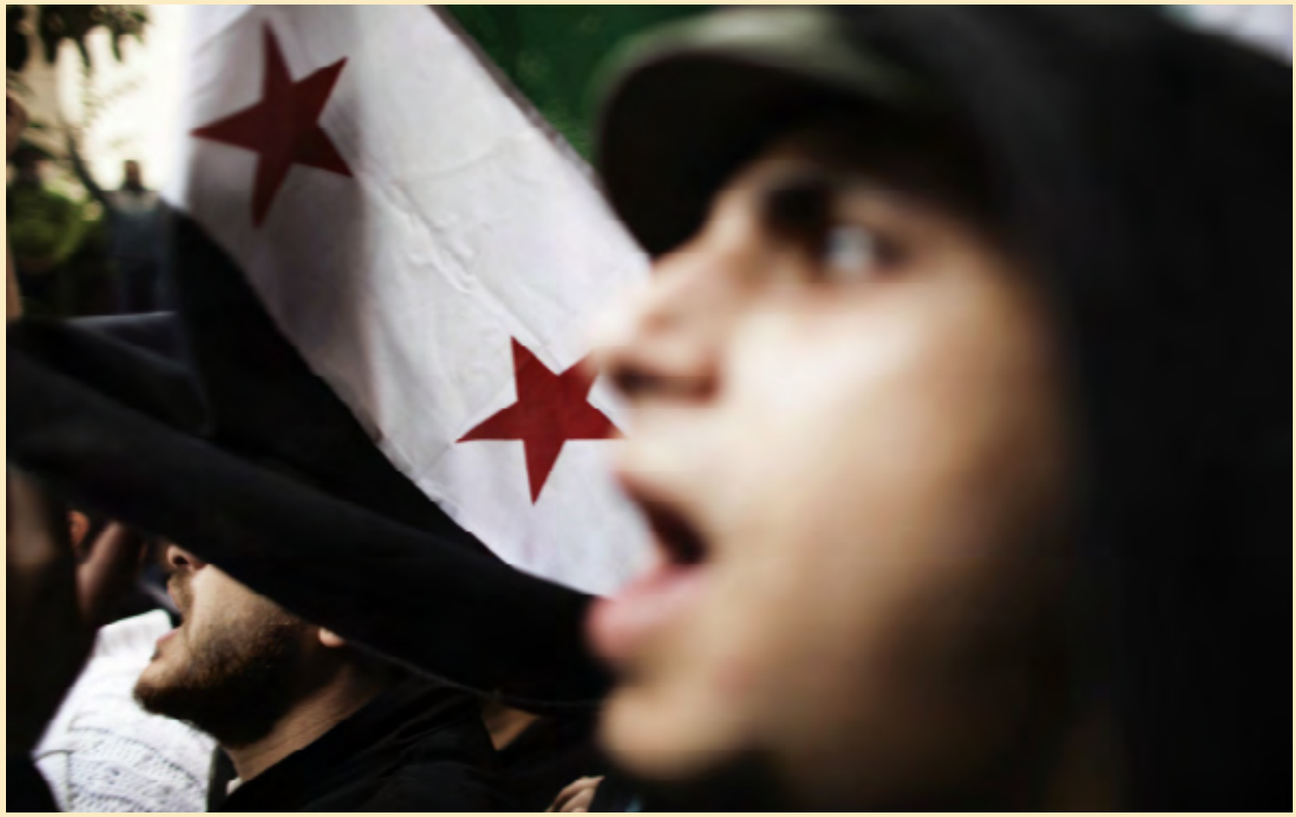

الأمن الداخلي (الشرطة)، بقرار وزاري من وزارة الداخلية في الحكومة الانتقالية. وإغلاق المقار الأمنية بالشمع الأحمر، ووضع حراسة عليها للحفاظ على وثائقها وممتلكاتها.
-تطهير وزارةالداخلية والأجهزة التابعة لها من الضباط الذين ارتكبوا جرائم تعذيب وقتل خارج نطاق القضاء،ونزع سلاحها وتتبع الهاربين منهم. و يتم ذلك من خلال لجنة وزارية، تضم قيادات شرطية وقضائية نزيهة، وممثلي منظمات حقوق الإنسان ونقابة المحامين على أن يكونوا قد خضعوا لتدريب مكثف و مناسب. وإعادةالنظر في ملفات ومستندات التفتيش والتحقيق في قضايا الأمن العام.
-القيام بتدقيق مبدئي للقيادات العليا فيسلك الشرطة الأحرار أوالمتقاعدين،لتحديد الثقة، وتوكيلهم أدوارقيادية أثناء عملية إعادة بناء القطاع الأمني و مؤسسته.
-إنشاءلجنة تصدر عن الحكومة الانتقالية للتحضير لعملية إصلاح القطاع الأمني والإشراف عليها خلال المرحلة الانتقالية. تتألف من قوى وطنية مختصة بالأمن والقضاء والعمل النقابي وعلم النفس العسكري. وتعمل وفق الاستراتيجية التالية:
1.إعادةهيكلة وزارة الداخلية وإدارتها من قبل وزير مدني،ونقل الأقسام والوظائف غير الأمنية فيها،كإدارة الجوازات والسجلات المدنية والدفاع المدني وتنظيم الحج..إلخ، إلى وزارات آخرى.واستحداث إدارات جديدة فيها، كمراكز الإصلاح الاجتماعي – قوى التدخل السريع- إدارة حقوق الإنسان – إدارة الشرطة المجتمعية – شرطة مكافحة الشغب...إلخ.
2.إجراء مراجعة شاملة لنظم ومناهج تدريب أكاديمية الشرطة، والعمل على تغيير مواد الدراسة لتعكس مفاهيم الأمن الإنساني بدل أمن النظام ،و لتبرز مهمة الشرطة في خدمة المجتمع وليس السيطرة عليه.
3.تغيير معايير الترقية في وزارة الداخلية، وإرساء نظام مركب الكفاءة والأداء والتدريب والمؤهلات،وتفصيل هذا النظام في قانون الشرطة الجديد.
4.تحديث قيادات وزارة الداخلية وكوادرها عبر ما يسمى دورات التدريب المستمر وفق أساليب التدريب المعتمدةعالمياً، وتدريبهم على تكتيكات مكافحةالشغب وتأهيلهم على التعامل المهني لاحترام الحقوق الإنسانية الأساسية والدستورية، وتزويدهم بالمعدات والتجهيزات الضرورية من أجل حفظ النظام العام.
5.دمج المخابرات الجوية مع المخابرات العسكرية والتي ستكون متخصصة فقط في الحفاظ على أمن الضباط والعسكريين، وتأسيس إدارات جديدة للمخابرات العسكرية وبتسمية مختلفة بالضرورة.
6.دمج الأمن السياسي بالجهاز الأمني الجديد الذي تكون مسؤوليته الحفاظ على أمن الشعب السوري، وإلغاء كافة مهمات الأمن السياسي السابقة وتأسيس جهاز جديد للمخابرات الداخلية.

> فتح باب العمل في القطاع الأمني أمام جميع السوريين بمعزل عن خلفياتهم الإثنية أو انتماءاتهم الطائفية.

7.تأسيس جهاز جديد للمخابرات الخارجية.وإلحاقها بالمخابرات العامة واستبدال مصطلح الأمن القومي بالأمن الوطني.
8.دمج بعض العناصر الثورية المقاتلة الراغبة في سلك وزارة الداخلية، ممن تتوفر فيهم الشروط الواجبة لذلك،وتأهيلهم بالتدريب اللازم.
9.فتح باب العمل في القطاع الأمني،أمام جميع السوريين بمعزل عن خلفياتهم الإثنية أو انتماءاتهم الطائفية.
10.صياغة قانون شرطةجديدليحل محل القانون المعمول به الحالي، يعكس جميع التوصيات المذكورة أعلاه.
إن هيكلية القطاع الأمني يُعتبر الحساس الأكثر دقة لقياس شرعية النظام الجديد، ومصداقيته الوطنية والديمقراطية. واستكمالا لذلك لابدّ من:
•وضع آليات رقابة خارجية فعّالة على قطاع الأمن، كمكتب المحامي العام والبرلمان (مجلس النواب)ومجلس حقوق الإنسان، ومنظمات المجتمع المدني، وتمكين قطاع الرقابة الداخلية من ممارستها لسلطتها المهنية وفق معايير موضوعية، في قانون الشرطة الجديد.
•العمل على صياغة قانون حرية المعلومات وتنظيم عمليات النشر الدورية عن طريق البرلمان، لإيجاد الرقابة العامة على المسؤولين الحكوميين وضمان أداء مهني للضباط،وإنفاق ميزانية وزارةالداخلية بالشكل السليم.
•فصل القطاع الأمني عن السياسة، ومنعه من ممارسة السياسية والتحزّب إلا ضمن شروط تضمن استقلاليته ونزاهته

> لكي ينجح برنامج إعادة الدمج لا بد أن يعمل على تلبية حاجات المجتمع المستقبلية بشكل فوري

وفي النهاية فإن برامج إعادة الدمج تساعد في تسهيل انتقال المجتمع من النزاع إلى الحالة الطبيعة والتنموية. ويتمثل الهدف الأسمى لبرنامج إعادة الدمج في دعم المقاتلين السابقين في سعيهم نحو الاندماج مع المجتمع المدني اجتماعياً واقتصادياً ووظيفا. وهذا يستدعي التفكير في مصادر التمويل المحتملة لهذا المشروع بالإضافة إلى دراسة وتحديد الفئات المستهدفة من المشروع، والعناصر التي قد تقف معيقة له. وتتضمن هذه الفئة الأشخاص الذين يملكون مناصب متوسطة إلى عالية ضمن الفصائل المتحاربة حيث أن توقعاتهم لنتائج البرنامج قد تكون أكبر من الممكن. وفي سياق عملية الدمج، لابدّ من الانتباه إلى العديد من المقاتلين الذين يعانون من مشاكل صحية تحتاج إلى علاج. وحتى يكون برنامج الدمج ناجحاً يجب أن يتضمن خدمات رعاية صحية. وأن يتم التعامل مع كل المشاكل الصحية الجسدية أو العقلية بعد توقف القتال و أن تبقى هذه القضية أولوية خلال فترة إقامة البرنامج. وقد تزيد عملية تسريح عناصر الجيش والأمن، (سواء من جيش النظام أو من الجيش الحر) من تغيرات في سوق العمل ويزداد احتمال تجدد العنف والتوتر. وقد يضر السماح ببقاء الاقتصاد على شكل اقتصاد حرب ودولة ضعيفة باستقرار مرحلة ما بعد النزاع وسيادة القانون والعملية الديمقراطية. فالمجتمع المُفقّر والدولة الضعيفة أو الهزيلة لن يستطيعا إرضاء متطلبات المقاتلين واستقرارهم في مجتمع يزدادون فيه فقراً. لذلك ولكي ينجح برنامج إعادة الدمج لا بد أن يعمل على تلبية حاجات المجتمع المستقبلية بشكل فوري

للافتات كفرنبل

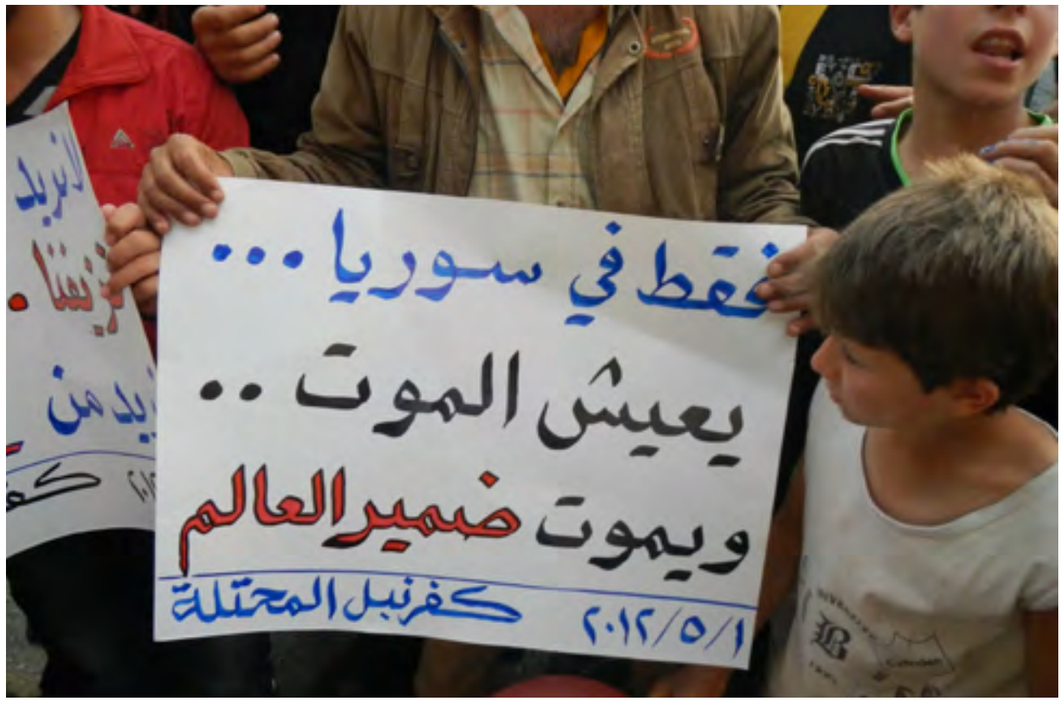

BOSTON BOMBINGS REPRESENT A SORROWFUL SCENE OF WHAT HAPPENS EVERYDAY IN SYRIA. DO ACCEPT OUR CONDOLENCES
THE SYRIAN REVOLUTION KNRC KAFRANBEL 19 4 13

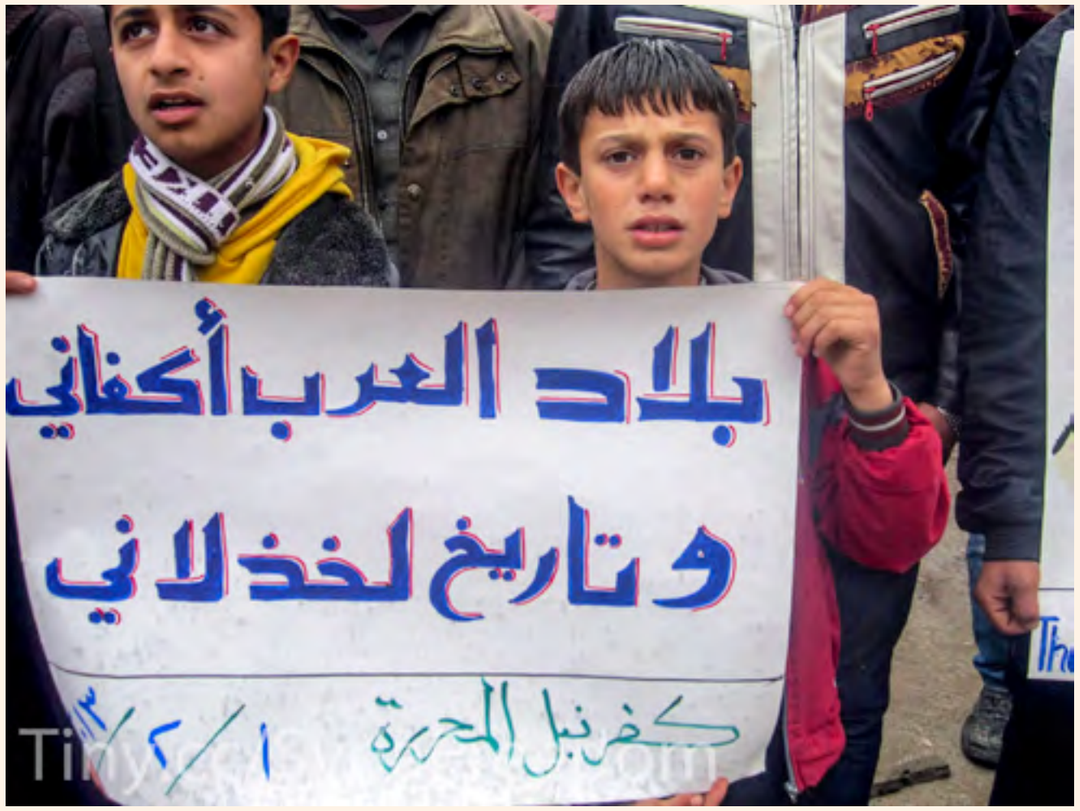
بلاد العرب أكفاني
و تاريخ لخذلاني
كفرنبل الحرة
Tiny.cc/SyriaFreedom

بين العلمانية والجهاد
تاه الأسد و الحسون
فبدت للعالم سوأتهم
paradise
الجنة
معقول آخرتها يجيبولنا
الظواهري ؟!!!
يتساءل متدسون ...
كفرنبل - الثورة السورية
The Syrian Revolution-Kafranbel

كفرنبل
ثورة
لا نريد من يراقب تزيفنا.. وإنما نريد من يوقفه!
Tiny.cc/SyriaFreedom

بورصة الثورة السورية ... وفق مؤشر أنقرة

عبد القادر عبد اللي

لا يمكن أن تكون المعارضة السياسية والعسكرية السورية منقسمة على نفسها كل هذا الانقسام، ولا ينقسم مؤيدوها بالنظرة إلى كل شيء بما في ذلك النظرة إلى أردوغان. إنهم متفاوتون بالنظرة إليه، ولكن الأكيد أنه صار لهذا الرجل منحبكجية سوريين يفوقون منحبكية الأسد ولا يمكن أن نجد لهم مثيلاً في تركيا نفسها وفي حزب العدالة والتنمية بالذات. وبالطبع لا يمكننا أن نغادر ثقافة المنحبكجية فوراً دون أية مقدمات وقد تربينا عليها بشكل ممنهج على مدى أكثر من أربعين سنة، وغير ممنهج منذ عام 1954 وأخذ جمال عبد الناصر السلطة من رفيقه بالسلاح محمد نجيب.

ليس في حياة المنحبكجية سوى أبيض وأسود، وهم لم يسمعوا بالكاتب التركي الساخر عزيز نسين الذي يعتبر أنه لا يمكن أن يكون الناس بيض وسود، وهم بين هذين اللونين. هل سيبدأ هؤلاء بالشتم، والاتهام بالخيانة؟ أم أنهم منحبكجيون حقيقيون لايشق لهم غبار، وسيبقون على موقفهم مهما كلف الأمر؟.. سبق موقف تركيا بإغلاق الحدود الموقفين الأمريكي والإنكليزي بوقف المساعدات الإنسانية إلى شمال سوريا.. هل هناك تغير بالموقف التركي من الثورة السورية؟ لماذا تغلق المنافذ الحدودية، وتعتقل بعضاً ممن يُصنفون متشددين عند دخولهم أراضيها؟ لماذا تلاحق شحنات الأسلحة المهربة إلى من يُسمون أنفسهم مجاهدين، وتصادرها، وتلاحق شبكات التهريب التي تقوم بشحن هذه الأسلحة؟ نعم، أحداث كثيرة جرت في الفترة الأخيرة، وتكررت نذكّر ببعضها: "عند هجوم داعش على لواء عاصفة الشمال و(تحرير) المنطقة شمال حلب أغلق الأتراك باب السلامة. وعند هجوم الجبهة الإسلامية على موقع ومستودعات باب الهوى أغلقوا الباب من طرفهم، ووقفت عبور حتى المساعدات الإنسانية.. هل أغلق باب كَسَبْ حتى الآن؟ لا ضرورة للتذكير بمن يعبر باب كسب.. من جهة أخرى فقد ضبطت الشرطة التركية شاحنة محملة بقواذف صاروخية محلية الصنع، وكمية من المواد المتفجرة، وقادت التحقيقات إلى أنها كانت في طريقها إلى جهات متشددة قريبة من القاعدة في سوريا، وقبل ذلك تم ضبط سفينة محملة بأسلحة خفيفة (لا ندري لماذا خفيفة؟ هل يقاتلون النظام بالأسلحة الخفيفة؟) الجهة المتوقعة تنظيمات قريبة من القاعدة. قبلها تم توقيف شخصيات من الهيئة الشرعية وداعش والنصرة وغيرها..

لقد بدأ حصار القوى التي تدعي أنها تسعى إلى تحقيق مشروع اليوتيبا المدعو "خلافة إسلامية". ولكن هل يعتبر هذا الحصار لصالح الثورة أم ضدها؟ هل تقبل تركيا بأن يتأسس جنوبها دولة طالبانية؟ من جهة أخرى، فالداعون إلى إقامة الخلافة الطالبانية المسماة زوراً إسلامية يقفون على طرف واحد مع الذين يسعون لإقامة الخلافة الصفوية المسماة زوراً إسلامية أيضاً. نعم، إنهم يدركون تماماً أن سقوط النظام السوري الحالي يعني نهايتهم، لأن القوى العالمية كلها ستقدم الدعم بأشكاله كافة لمحاربتهم، وهذا ما يجعل توافق الذين يدّعون إنهم على طرفي نقيض (الصفوية – الطالبانية) متوحدون بالهدف. الهدف هو بقاء نظام الأسد ولو كان على هذه الحال من الضعف الوهن. لأن بقاءه يعني بقاء القوى الإيرانية والطالبانية. ماذا ستفعل تركيا في وضع كهذا؟ نعم، سيكون الموقف التركي صعباً، فالحكومة التركية (العدالة والتنمية) لا تقبل بأي شكل من الأشكال تأسيس دولة طالبانية في سوريا.. وهي لا تؤيد حتى قيام دولة إسلامية بالمفهوم الشرعي... نعم، لماذا الاستغراب؟ ألم ينصح أردوغان صديقه محمد مرسي بأن يضع دستوراً علمانياً، وقال هذا علناً، وإثر ذلك انتفض المصريون أخوناً ومباركيّن ضد أردوغان، واتهموه بالردة، وكادوا أن يهدروا دمه؟ (الناشطون) السياسيون مهرة بقراءة غيب لن يأتي.. فمنذ بداية الثورة وهم يتلقفون شائعات النظام التي يُطلقها على المعارضين السوريين، ويعتبرونها حقائق لا يأتيها الباطل من أمام أو خلف أو جنب أو فوق أو تحت. وبالطريقة نفسها يتلقون كلام المعارضة التركية المتمثلة بحزب الشعب الجمهوري عن طريق وسائل الإعلام الموالية للنظام (الإيراني) والذي يدعي من خلاله بأن حكومة العدالة والتنمية تسعى من خلال برنامج سري إلى تأسيس دولة إسلامية في تركيا، ويعتبرونه أيضاً كلاماً لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة... هل يعلم منحبكجية أردوغان السوريين بأن العثمانيين لم يكونوا خلافة إسلامية حتى أعلن نفسه سليم الأول أميراً للمؤمنين وهو الحاكم التاسع في بني عثمان، وكان هذا الإعلان هو المبرر الذي ساقه لتمدده شرقاً وجنوباً، ومواجهته الدولة الصفوية؟ وهل يعلم هؤلاء بأن محمد الفاتح أعلن نفسه إمبراطورَ روما الثالثة؟ لاشك بأن المنحبكجية هم أناس بنوا ثقافتهم على كلمة "منحبك" وهذه تكفيهم ثقافة الدنيا كلها.. لن تسمح تركيا بتمدد حركات الخلافة وإمارات الجَلد وقطع الرؤوس على حدودها، وإذا كان هناك من يعتبر بأن تركيا دولة داعمة للشعب السوري، فعليه أن يبقي عينه عليها لا لكي يأتيه الدعم عبرها فقط، بل لكي يستفيد من تجربتها السياسية المتوافقة مع الاتحاد الأوربي، وسعيها لتكون عضوة في مؤسسات هذا الاتحاد كلها، وهي تلتزم بمحكمة حقوق الإنسان الأوربية، وتنفذ أحكام هذه المحكمة بحذافيرها.. النظر إلى تركيا ليس لمجرد رؤية باب دعم، بل لرؤية تجربة اقتصادية وديمقراطية وحقوقية

سياسة

سوريا و التقسيم... سوريا و وحدة المصير

صور من انحلال الدولة ... حلب مثالاً

تفكك مؤسسات الدولة:

من حق الجميع أن يقلقوا على مستقبل سوريا أرضاً وشعباً لابل من حقهم أن يقلقوا أكثر من أي يوم مضى ,فلقد وضعت سوريا في سوق المزاودات الدولية والإقليميه الصراع العسكري لايمكن له أن يستمر إلى مالانهايه ولابد وأن يتوقف في لحظة ما تكون فيها التفاهمات الدوليه قد نضجت والمتقاتلين على الأرض قد أنهكوا, حينها ستظهر المأساة وستتكشف الفظائع التي ارتكبت وآثارها التي خلفتها وستخلفها لعقود من الزمن, لن يكون هناك مؤسسات تابعة للدوله . بمفهومها السياسي أو الخدمي, فلقد أنهارت البنى التحتيه للدوله . وماتشاهدونه الآن هو حالة من حالات تصريف الأعمال وإدارة أزمه لاأكثر ولاأقل إنه إقتصاد الحرب المدمره وعلى كافة الأصعده لن تجدوا مجتمعاً سورياً أعتدتم أن تلمسوه أو تعايشوه, فكل شيء سيتبدل لن يكون هناك هذا الخليط والتنوع السكاني الذي تعايشتم معه لسنوات طويله, لن يكون هناك هذا التورم بين المكونات السوريه إثنية كانت أوعرقية أو دينية أو مذهبيه, فكلٍ سيعود لحجمه الطبيعي لابل سينكمش أيضاً وسيتقوقع .نحن نشهد بداية النهايه لتمرد الطوائف على مجتمعها الذي تنتمي إليه .

بحكم طبيعة النظام الذي حاور باسمها وقاتل باسمها وارتكب كل الموبقات باسمها وحكم البلاد باسمها ورغم ذلك صمتت مثل أهل الكهف, لابل كانت شريكته في قمع هذا المجتمع الذي تنتمي إليه وهذا ينطبق على المكون السني الذي سيدفع أكثر مما دفع حتى الآن من وحدته على المستوى الطبقي والوطني والإجتماعي وسيظهر عمق الفجوة بين الريف والمدينه وسيزداد عامل الكراهيه بين الطرفين لأسباب موضوعيه وأسباب الحرب وكذلك على المستوى العشائري الذي عاد لمجتمع القبيلة والفخذ والبطن .!! ومن شارك ومن خان وباع الضمير ومن قاتل إلى جانب النظام . وستظهر المناطقيه بقوة لم تشهدها سوريا من قبل ولاننسى أن شكل المجتمعات العمرانيه لن يعود لسابق عهده أبداً وهناك من سيغادر مجتمعه طوعاً أو مرغماً نتيجة الفظائع التي ارتكبها من قاتل باسمهم, وسيهرب كل الشبيحة ومن كل الطوائف لحماية أنفسهم من المساءلة والإنتقام ولاننسى طبقة السياسيين الذين حكموا أثناء الثورة وقبلها وكانت سمعتهم بالفساد والأخلاق متدنيه, فهؤلاء سيحملون حقائبهم بما أمتلأت من نهب وسرقه وسيغادرون الوطن لملاذ أكثر أماناً وخوفاً من الإنتقام .وسيتبدل شكل المؤسسات الحكوميه, التي كانت تدار أغلبها منقبل بعض أبناء الطوائف والمتتبع لوزارة الصحه ومؤسساتها يستطيع أن يفهم من هو المعني بهذا التلميح, لاشيء سيبقى على حاله وهذا سيطال الجميع بدون إستثناءالجميع سيدفع ثمن مواقفه من الثورة إن كان بشكل فردي أو جماعي . وسيظلم الكثير من أبناء سوريا ومن كافة المكونات إن ماستتكشف عليه سوريا لحظة توقف القتال سيكون مفجعاً ولن يتحمله البشر العادي ..ستتكشف عن نساء أنتهكت أعراضهم وسيلفظهم مجتمعهم لأسباب إجتماعية معروفه .. وستتكشف عن أطفال أيتام ليس لهم أسر ترعاهم واعداد هائله من المشوهين ومن كافة الأعمار وملايين من البيوت المدمره وبضعة آلاف من المفقودين وكذلك سنشهد صكوك بيع لمنازل قدم تزويرها. ومشاكل عميقة في قضايا السجل المدني والوفيات والميراث وتسجيل الأولاد الذين ولدوا في الخارج . سنشهد مجتمع واسع الطيف يعاني من أمراض نفسية مزمنه . وسنشهد عنفاً منقطع النظير نتيجة تواجد السلاح بين يدي المارقين من أصحاب السوابق .

لقد تبدل المجتمع السوري بطريقة كارثيه وستحتاج لسنوات طويله لكي يعود لنقائه ووضعه الطبيعي بعض الشيئ ولكنه حتى وإن عاد فلن يعود لسابق عهده .... فماقبل الثورة شيئ ومابعدها سيكون هناك أشياء كثيره ..أما على المستوى الجغرافيه السياسيه ... فماذلت أعتقد أن وحدة البلاد في مهب الريح . ومعالم التقسيم أكثر من واضحه, وإمكانية إبقاء سوريا موحدة أمر ليس بالهين ولكنه ليس بالمستحيل, وهذا سيعتمد على مقدار الوعي لخطورة التقسيم ... من قبل كافة ابناء سوريا على أن لايأخذهم تشددهم القومي والمذهبي والعرقي والإثني إلى مآلات خطيرة تفضي لقيام حروب أهليه ونزاعات مذهبيه تقضي على حلم سوريا الحره وتستبدله بصومال سوري يقضي على أحلام الشعب السوري الذي دفع الغالي والرخيص لينال حريته في ظل وطن واحد وموحد ينعم فيه الجميع بالأمن والأمان والعدل والمساواة والمواطنة

أ.غ

أكتب اليكم من حلب .... قراءة في كتاب

ل: جان بيير فيليو
قراءة : غادة جاويش

« لا تنتظروا منّي حضورا فاعلا في هذا الكتاب , لست سوى عابر غطس في التراجيديا الحلبية . هي فرصتي كي أتشارك مع أهل المدينة بضعة أيام من حياتهم وأقدّمهم بينما يعيشون تلك المحنة , بالقرب منّا « جان بيير فيليو

الشعب يريد ..

ماذا يريد الشعب ؟

(الشعب يريد اصلاح الكهرباء) كان شعار تلك المظاهرة في ليلة من ليالي رمضان , لا بل انهم ذهبوا أبعد من ذلك (لم نعد نريد الديموقراطية , نريد الكهرباء) شعار من هذا النوع يصبّ في خانة الكرامة التي قامت الثورة السورية من أجلها . انه نضال من أجل التحرر وملحقاته . هذا مايستنتجه الكاتب من شعارات المظاهرة , ويستكمل فكرته قائلا بأن لاتوجد ثورات معقّمة والثورة السورية ليست أكثر ولا أقل فضيلة من بقية الثورات الاّ أن مايميزها هو ارادة لاتتزعزع بعدم قبول ماهو غير مقبول , ارادة تنبثق من أعماق شعب لم يعد لديه أولويات اذ كل حاجة هي أولوية حيث يناضل السوريون على كافة المستويات رغم أنهم في صراع مرير من أجل الحرية " الحرية نضال , حتى ضد أولئك الذين يدّعون حمايتها " ويحمل مصطلح " التّشويل " في طياته انتقادا لاذعا لبعض فصائل المقاتلين " تشويل هنا وتشبيح هناك ". يبكي الحلبيون شهداءهم , يدفنونهم بسرعة وينطلقون الى أدق التفاصيل , لاتفوتهم فائتة , يتعاملون بأسماء رمزية

فلربما وقع أحد في أيدي قوى الشر . " أبو محمود " هكذا يعرّف عن نفسه حتى لو لم يكن له ابن يدعى محمود أو حتى لو لم يكن له ابن .. " أبو محمود حتى النصر , وبعده سأحتفل وسأقول لك من أنا .. الأهم هو أنك عرفتني أثناء الثورة "

حي صلاح الدين .. يستعيد الاسم رمزيته :

يبدأ الكاتب حلب من حي صلاح الدين , يتحدث عن رمزية صلاح الدين الأيوبي في الذهنية التاريخية للسوريين ويقول بأن تلك الرمزية العالية كان قد تم استغلالها لزمن طويل من قبل حافظ الأسد الذي نصّب نفسه وريثا لصلاح الدين واضعا اسرائيل بديلا عن الصليبيين . " الاسم يأخذ معناه الحقيقي هذه المرّة " . كان المتظاهرين يختنقون في وهم المدينة الموالية خلال شهر رمضان من عام 2011 , لكن أهالي حي صلاح الدين استفادوا من فرصة وجود المراقبين العرب كي ينزلوا الى الشارع في 30 كانون الأول 2011 . وبعد مجزرة جامعة حلب في 3 أيار 2012 خرجت

أرتال التضامن من صلاح الدين أولا .. وهكذا دخل الحي في المقارمة , المتظاهرون السلميون يستقبلون الجنود المنشقين عن جيش النظام , المخبرون يتم احتقارهم من قبل الأهالي وعناصر الأمن تسند الجدران . بدأت موازين القوى تنقلب ففي 18 تموز 2012 يتشكل لواء التوحيد بقيادة عبد القادر الصالح ويقود الضابط عبد الجبار العكيدي دفة العمليات العسكرية باسم الجيش الحر , خلال أيام يكون حي صلاح الدين في أيدي الثوار فيقصفه النظام بالطيران وبالمدفعية ويغادره سكانه . الآن عاد حوالي ربع السكان الى الحي ويعيش معظمهم من الاغاثة التي تقدمها اللجان الثورية . لتفادي قناصة النظام يتجنب الأطفال اللعب بالقرب من " طريق الجنة " هكذا سمّاه المقاتلون حيث المرور به يعني طريق الى الشهادة . لذا فان العبور من ثغرة تم فتحها في جدار بيت هو أكثر أمنا رغم الألم الذي يعتري الكاتب من انتهاك خصوصية الناس لدى مروره من غرفة نوم طفل أو من حمّام العائلة , لكن البقاء على قيد الحياة يتطلّب ثمنا . الجامع مكان للحياة , للمشاركة وللتعارف , وليس من المؤكد تلبية النداء الى الصلاة بعد المظاهرات من قبل من يقولون " الله أكبر " , انها صرخة ضد الظلم ليس الاّ . أما خيام رمضان فتصدح منها أغاني الثورة . يؤكد الشيخ الورع " أبو جمال " من حي الاذاعة بأنه " يفضل المسيحي السوري على المسلم الماليزي " . أما المدرسة المختلطة التي تم فتحها في الجامع فتحمل اسم " الشهيد عبدالقادر شاشو " وهو كردي سوري قتل في احدى المعارك . تكمن أهمية الكتاب في أنّ كاتبه يخاطب مواطنيه الفرنسيين محاولا ازالة الكثير من الالتباس الذي انزرع في الرأي العام الغربي فأدار ظهره , بعد أن كان متحمسا , للربيع العربي عموما بذريعة الاسلام السياسي وخصوصا للثورة السورية حيث قدّم الاعلام الغربي كل الذّرائع عن الاسلام المتطرف في سورية فساهم في تشويه صورة الثورة ومبادئها من حيث تقديمها على أنها اختطفت من قبل الجهاديين .

فزّاعة الجهاديين :

يوضح الكاتب بأن اولئك القادمين الى سورية باسم الجهاد هم غرباء عن عقلية المجتمع السوري ويتم النظر اليهم كما لو أنهم قادمين من العالم الخارجي وتدور حولهم الأساطير . يبدأ فصل " فزّاعة الجهاديين " بحوار يدور بين اثنين :

ـــ في واحد مكسيكي

ـــ وكيف عرفت أنه مكسيكي ؟

ـــ ياحمار , بسيطة , سألته فأجابني

ـــ وأين صاحبك المكسيكي هذا ؟

ـــ هناك على خط الجبهة , مع العراقيين

ـــ مكسيكي عند القاعدة .. يالله .. والله لنكيّف !

ويردف الكاتب بأن السوري عندما يقول " مكسيكي " فكأنه يتحدث عن أحد قادم من الفضاء الخارجي ! أما الجهاديان الفرنسيان اللذان شغلا الاعلام الفرنسي فيقول الكاتب بأنه كان في نفس الفترة في حلب ولم يسمع عنهما الاّ بعد عودته الى باريس في اشارة منه الى تضخيم أهمية الجهاديين في سورية . لقد جاء أعضاء جبهة النصرة العاطلون عن العمل بعد الانسحاب الأمريكي من العراق ليأخذوا مكانا في المشهد السوري . وعندما ارتكبت مجازر طائفية ضد الشعب السوري في أيار – حزيران 2012 ومرّت دون أي رد فعل من قبل مراقبي الأمم المتحدة الذين كانوا في سورية مما أضعف موقف المعسكر الثوري . وقتها صدر عن جبهة النصرة خطاب مبسّط حول " المؤامرة " ضد المسلمين من قبل النظام السوري وايران وحلفائهم في اسرائيل وفي الغرب وبغطاء من الأمم المتحدة . لقد رفضت قيادة الجيش الحر أي تعاون مع جبهة النصرة الا أن القادة المحليين كانوا أقل تحفظا في ظل نقص السلاح الثقيل والمقاتلين المدرّبين . يشبّه الكاتب تنظيمي القاعدة في العراق والشام بفرعي حزب البعث في العراق والشام في عهد حافظ أسد وصدام حسين حين تفاقم الخلاف بينهما فادّعى كل منهما بأنه الأكثر شرعية ومحافظة على النّقاء الايديولوجي . كذلك لم ينجح الظواهري بالتوفيق بين النصرة والدولة كما لم يستطع آباء البعث قبل أربعين عاما من جمع الأخوة الأعداء في دمشق وبغداد . أتخيل لو أنّ أحد السوريين الأحرار قد ألّف هذا الكتاب لكان اتّهم بأنه لايرى سوى النصف الملآن من الكأس وربما تم تصنيفه ايديولوجيا ! جان بيير فيليو بعيد عن ايديولوجياتنا , وهو لايرى في حلب سوى ثورة ماضية في تحقيق أهدافها رغم الصعوبات

الهائلة ولكن بعيدا عن القلق غير المبرر وعن كل أنواع الرّهاب . في فصل سمّاه " سوق الكتائب " ولدى الحديث عن عسكرة الثورة يؤكد الكاتب بأنها فرضت بسبب بطش النظام , تلك الثورة التي حافظت على سلميتها وانضباطيتها لأشهر عديدة . ويقول : " من الصعب أن تخطو خطوة في حلب دون أن تصادف كتيبة , اما فعليا أو بكتابات على الجدران , أو من أحاديث الناس عن هذه الكتيبة أو تلك وأدائها على الجبهة أو تعاملها مع المدنيين مما يشكل مصدر تأويلات لاتنتهي " . ويتساءل الكاتب عن ماهو مشترك بين قادة الكتائب رغم الاختلاف الكبير بينهم " جميعهم حمل السلاح أثناء الثورة لأسباب جيدة أو أقل جودة لذا فان مصيرهم مرتبط بهذه الثورة : انهم يقاتلون حتى النصر . لايملك هؤلاء القادة الثقافة السياسية ولا القيم العسكرية التي يملكها قائدهم عبد الجبار العكيدي . كانوا فخورين بأن لواء التوحيد أرسل وحدة عسكرية الى جبهة القصير , لكن أفقهم محدود بحدود أحيائهم , وهوسهم هو ايجاد السلاح , وليس التمويل , ذلك كي يوفروا لمجموعاتهم حضورا محترما . " رغم هذا وذاك الا أن سوق الكتائب ليس جاهزا للاغلاق

إدارة الثورة

" الابتسامة في وجه أخيك صدقة " هذا الحديث النبوي معلّق في مكتب أحمد عزوز رئيس المجلس المحلي أو " محافظ حلب " كما سمّاه الكاتب لدى حديثه عن ادارة شؤون المدينة المحررة التي يزيد عدد سكانها عن مليون نسمة , بل ويعتبره أول محافظ منتخب ديموقراطيا وان لم ترق ظروف انتخابه للمعايير العالمية للانتخاب ! " تكليف لاتشريف " هكذا يعتبر أعضاء مجلس حلب مهمتهم لادارة شؤون المدينة من الكهرباء الى المواصلات والتعليم والطب وحتى جمع القمامة . يتذكر الكاتب قائد كتيبة يدعى أبو جعفر يتخذ من قصر عثماني في حلب القديمة مقرا له ويعيد انتاج السلطوية والتعسف للقائد أو للزعيم أو لأي سيد تقليدي في المجتمع العربي ويقول " هذا النمط من القادة , كان ومايزال موجودا منذ قرون , وقد رأيت في سورية قادة بعثيين , مدنيين وعسكريين يتصرفون بطريقة أبو جعفر , لكنني لم أجد أثرا لذلك في مكاتب أعضاء المجلس المحلي لمدينة حلب المحررة . هنا للمواطن حقوق لايستجديها , وهنا القانون يأخذ مجراه وليس الارادة الطيبة " وحسب رأي الكاتب فان كومبيتر المدير هو الذي سيحدد مستقبل سورية وليس أسلحة الثوار , وقد أدركت الكتائب ذلك فتركت الشؤون المدنية لتلك الادارة الجنينية . ينهي الكاتب فصل " ادارة الثورة " بهذا المقطع البديع : " على جدار مسجد في المدينة القديمة , كتبت عبارة سوداوية تقول (عندما تنتهي المعركة ويرتاح الشهداء

في جنات الخلد , يخرج الجبناء كي يقصوا علينا أحداث المعركة) .ربما ستكذّب حلب حتمية مجربة لمقاومي الساعة الخامسة والعشرين . ربما يفرض مدراء الثورة أنفسهم على حلب . لكن في كل الأحوال فان هؤلاء الاداريين الذين يعملون بصمت يخاطرون بحياتهم من أجل انجازات يحققونها " .

سورية الغد

يبدأ مستقبل سورية من تعلق السوريين بالحياة حتى في أحلك الظروف , من كرمهم , من احترام الصغير للكبير ومن فضولهم الذي يرتدونه كجلد ثان .. ومن موائدهم . يقص علينا الكاتب تلك الحكاية : " وصلتنا مخابرة مستعجلة على اللاسلكي من أبو فادي تدعونا للذهاب الى محله في جنوب شرقي المدينة . أسرعنا الى هناك ولدهشتنا اكتشفنا بأن أبو فادي قد استخدم اللاسلكي كي يدعونا لشرب عصير الفاكهة ! رفضنا النزول من السيارة , أبو فادي وضع صداقته لنا بالميزان واحتدّ نبرة الحوار بيننا .. الا أن وصول صبي يحمل كؤوس عصير الخوخ هدّأ من النفوس . تبادلنا القبلات , شربنا عصير الفاكهة وانطلقنا عائدين " . أما حليمة التي تعمل وتقيم في مستوصف في حي السكري , فان كلماتها هي أجمل مايمكن أن يحمله الكاتب من حلب " اسقاط النظام لن يكون سوى خطوة أولى . المستقبل لنا " ويقول " كم أود أن تصل رسالة حليمة الى كل من يعتقد بأنه يعرف سورية ويقرر باسمها .. مع وعد بسورية الغد , بسورية حليمة وأبو اللطف وكل الشباب الذين يناضلون لنيل حريتهم " في خاتمة الكتاب يغادر الكاتب حلب وكذلك دوره كمشاهد وحكواتي ليذكّر بجرائم النظام , بصواريخ سكود التي استهدفت المدنيين في حي باب النيرب وباستخدامه للسلاح الكيماوي وسط تخاذل المجتمع الدولي . ويرى أن بامكان البعض أن يحلم بنيويورك أو بجنيف الاّ أن الشك ممنوع في حلب حول ازالة الدكتاتور ومحاكمة مجرمي الحرب . وينهي كتابه قائلا : " الشابات والشباب الذين التقيتهم يريدون أكثر من العيش , العيش بحرية . ليس لديهم افتتان مرضي بالموت ولا تطلّع استحواذي للتضحية . أتمنى أن أراهم أكثر حضورا , أكثر حياة حيث أن المستقبل لهم " . تحمل الصفحات الأخيرة من الكتاب عنوان " حلب في التاريخ وفي الثورة " وتحتوي على تسلسل زمني لتاريخ المدينة وحاضرها يبدأ من الألفية السادسة قبل الميلاد حيث الاشارات الأولى لحلب كمنطقة مأهولة وينتهي في 26 تموز 2013 , مجزرة استهدفت المدنيين في حي باب النيرب حيث أطلق نظام الأسد صواريخ بالستية !!

عن الكاتب : جان بيير فيليو . أكاديمي وباحث وديبلوماسي سابق عاش في سورية لسنوات منذ الثمانينات من القرن الماضي ويتكلم العربية . له العديد من المؤلفات حول قضايا الشرق الأوسط وهو من كبار المختصين بالثورة السورية . الكتاب من مطبوعات دونويل , باريس . اكتوبر 2013 .

لايمكن تجاهل المجتمع المدني السوري

وائل السوّاح

في ندوة في أنقرة ساد فيها جو من التشاؤم فيما يتعلق بمصير الثورة السورية، سألني أحد الحضور عما إذا كان ثمة نقاط بيضاء في الواقع السوري الراهن. وكان جوابي التالي:

قبل الثورة، كان لدينا في سوريا ثلاث جرائد، اليوم لدينا ثلاثون جريدة. قبل الثورة كان لدينا ثلاث محطات تلفزيون تافهة، اليوم لدينا عدد لم أعد أحصيه. والأهم، قبل الثورة كان مصطلح المجتمع المدني يعتبر من المحرمات، وكان نظام الأسد يحاربه كما يحارب أشد معارضيه السياسيين، اليوم لدينا مئات وربما آلاف منظمات المجتمع المدني التي نشأت عفويا لسد الفراغ الذي احدثه الانسحاب الجبان للدولة من معظم مناطق البلد والضعف المخجل للمعارضة السياسية. عملت هذه المنظمات في كل المجالات في الإغاثة والإعلام والمجالات الطبية والتوثيق ورصد انتهاكات حقوق الإنسان والحفاظ على التراث الثقافي السوري ونشر الوعي في مجالات حكم القانون والعدالة الانتقالية وصياغة الدستور وغيرها

. ومع ذلك، يتعامل الجميع في سوريا تقريبا مع المجتمع المدني كأنه أمر نافل أو تحصيل حاصل،لايأخذونه في الاعتبارفي الأمورالكبرى،وإن قبلوا بوجوده في الأمورالصغيرة. كان ذلك شأن النظام الآيل إلى السقوط سابقا،وهذاهوشأن المعارضةالحالي سواءأكانت داخليةأم خارجية،معتدلة أم راديكالية،مدنية أم عسكرية. كان بشارالأسد يمنع استخدام عبارة "المجتمع المدني" في طول البلاد وعرضها،وفي الصحافة والتلفزيون و وسائل الإعلام الأخرى. وكان المجتمع المدني تهمة بحد ذاتها. فالطريق إلى السجن قد يكون من خلال عملك في المعارضة أو تعبيرك عن الرأي أوانضمامك لإحدى منظمات المجتمع المدني. ونحت النظام للمجتمع المدني كلمة لا لون لها ولا نكهة هي "المجتمع الأهلي." الذي يمكن أن يرمز أكثر إلى التشكيلات ما قبل المدنية من عائلة وعشيرة وغيرهما. ولم يكن ذلك عن عبث. واليوم تنظرالمعارضة إلى المجتمع المدني نفس النظرة،فلا تأخذ بنصحه ولاتستشيره ولاتطلب مساعدته في أي شأن من شؤونها أو شؤون سوريا. تنسى المعارضة في ذلك أن المجتمع المدني هوالذي كان يعمل على السطح عندما كانت المعارضة نائمة أومغيبة في السجون. وتنسى أيضا أن المجتمع المدني هومن أسس لربيع دمشق فأقام المنتديات ومفهومات الديمقراطية وحقوق الإنسان إلى الثقافة السورية البعثية الغبية التي قامت على أساس عبادة الفرد وتقديس الحزب والمخابرات. لا تذكرالمعارضة أن نشاط لجان إحياء المجتمع المدني ومنتدى الحوارالمدني ومنتدى الحوارالثقافي ولجان حقوق الإنسان والبيانات التي وقعها ناشطون ومثقفون وأساتذة جامعات (من مثل بيان الـ 99 وبيان الألف) هي التي حركت الجمال الراكد في المشهد

السوري على امتداد عقود، وهي التي أقضت مضجع السياسيين وقادة الأجهزة الأمنية وتجار الموت والمعتقلات. وعندما اندلعت الانتفاضات العربية،كان المجتمع المدني – وليس المعارضة السياسية – هومن قاد التظاهرات وأقام الاعتصامات سواء في تونس أم مصر أم اليمن. وبينما كانت المعارضة السياسية في تونس ومصر نائمة في العسل،كان المجمع المدني المنظم في تجمعات شبابية ونقابية ومهنية يسيرالمظاهرات ويحتل الميادين العامة ويحدد سقف مطالب الثورة. وفي سوريا أيضا،يغيب المجتمع المدني من على طاولة السياسيين وتجارالحرب وقادة الدول التي تسيرأمورسوريا. ليست المعارضة ولا المقاتلون من عمل على إدماج الشباب والمرأة في الثورةالسورية،بل المجتمع المدني. والمجتمع المدني هوالذي أكد – دون أن يسمع له أحد- على سلمية الثورة ومدنيتها وعلى المواطنة كمعيار أساس للعلاقة بين السوريين. وهو الذي عمل على تحديد معايير العمل في اليوم التالي لسقوط النظام وبداية المرحلة الانتقالية إلى الديمقراطية، فوضع تصوراته لحكم القانون والعدالة الانتقالية وإصلاح القطاع الأمني وإصلاح النظم الانتخابية وكتابة الدستوروإصلاح القطاع الاقتصادي والعلاقات المجتمعية. واليوم يعتقد السياسيون والعسكر أن بإمكانهم الذهاب إلى مؤتمر جنيف والجلوس على طاولة المفاوضات والحصول على ما يمكن الحصول عليه. هذا أمر جيد، على أن ثمة شيئا واحدا لم تحسب هذه الأطراف حسابه. يمكنك أن تأخذ الحصان إلى الماء ولكن لا يمكنك أن تجبره على الشرب. وأنتم أيضا يمكنكم أن تأخذوا السوريين إلى جنيف ولكن لا ضمانة لتطبيق ما ستتفقون عليه. الضمانة الحقيقية لذلك هي مشاركة المجتمع المدني السوري كمراقب على الأقل وكمرشد وناصح. وهوأمر حيوي يضمن على الأقل أن الأجندة السورية هي التي توضع على الطاولة وأن المتفاوضين يبحثون في المصلحة السورية أولا وليس في مصلحة أي طرف آخر. وإذا كان من الصعب مشاركة المجتمع المدني في العملية التفاوضية نفسها فأضعف الإيمان أن يكون موجودا كطرف مراقب،ضامن لنزاهة المفاوضات وسورنتها.

الربيع العربي في سياق الربيع العالمي..

جردة حساب مع مطلع 2014

صقر بدرخان

ربما يبدو الحديث عن ربيع عالمي مستغربا بعض الشيء في وقت حجبت فيه سحب الدخان الكثيفة وأتربة الدمار التي أثارتها وأطلقتها إنتفاضات الربيع العربي في كل المنطقة ومعها طاقات شعبية هائلة وآمال عريضة بمستقبل أفضل يحل محل واقع الشعوب الأليم والمتردي من بؤس وفقر وبطالة ومهانة وإستبداد..حجب هذا كله رؤية السياق العالمي الذي الذي تندرج فيه هذه الإنتفاضات فلا تعدو أن تكون مرحلة في سياق ربيع عالمي بدأ منذ أربعة عقود , ونشهد اليوم في الشرق الأوسط ومنطقتنا العربية بالتحديدحلقاته الوسطى, ولكنها الحلقات التي يقدر لها أن تكون حاسمة لناحية تحديد المآلات الأخيرة لهذا الربيع العالمي الممتد.. _ أقترح هنا إعتبار العام 1968 بداية لهذا الربيع العالمي الذي أعنيه..ففي هذا العام وقعت أربعة أحداث هزت العالم وأرهصت بالربيع وبأن ساعة التغيير قد دنت وحانت . هذه الأحداث هي : ثورة الشباب في فرنسا , وربيع براغ , وثورة الطلاب في بولندا , وهزيمة الجيش الأمريكي في معركة _ تيت _ في فييتنام وهي الهزيمة التي حتمت وحددت مسار الخروج الأمريكي من فييتنام , وفرض الصين نفسها كقوة عالمية لم تلبث الديبلوماسية الأمريكية وأن إعتمدتها وبنت عليها مع زيارة الرئيس الأمريكي نيكسون في مطالع السبيعينيات من القرن الماضي الى الصين مفتتحا مرحلة جديدة في توازنات القوى العالمية.. - في خلفية المشهد سنجد أن الإقتصاد والإستراتيجية والنزعة التحررية للشعوب كانت هي الأسس التي التي نهضت عليها تلك الأحداث مجتمعة .

فقد إرتفعت في فرنسا معدلات البطالة بعد قرارات حكومية في عهد الرئيس الجنرال ديغول بالحد من التوظيف والقبول الجامعي للطلاب وذلك بعد فترة من الرواج الإقتصادي دامت عشر سنوات لم تشهد فرنسا لها مثيلا . بدأت الثورة مطلبية ولكنها سرعان ماراحت تتناول الشأن العام الإجتماعي والسياسي وشكل المجتمع وأنماط الإستهلاك , وكانت الثورة تستلهم الثائر الاسطورة غيفارا وترفع صورة, كما كانت تنهل مرجعيتها من مفكرين وفلاسفة على رأسهم الامريكي هربرت ماركوزه في كتابه (الإنسان ذو البعد الواحد), ووليليام رايشت وكتابه (الثورة الجنسية).. ومفكرين آخرين مثل جان بول سارتر , وميشيل فوكوه .....هذا في فرنسا .أما بالنسبة لشيكوسلوفاكيا وربيعها الذي قاده السكرتير العام للحزب الشيوعي ـــ الكسندر دوبتشيك - فقد رمت أساسا الى إتاحة قدر من حرية التعبير في الحزب والدولة والمجتمع الأمر الذي نظرت اليه موسكو بريبة شديدة دفعتها الى حسم أمرها بالتدخل العسكري في تشيكوسلوفاكيا .. وتأتي أحداث الطلاب في بولندا في ذلك العام لتكون بدورهابداية مسار طويل أفضي فيما بعد الى

حركة تضامن العمالية التي قادها - ليش فالسا ـــ ورعاها البابا البولوني يوحنا بولص ..وإنتهت الى خروج بولونيا من حلف وارسو.. - وبالوسع هنا , على الصعيد الإقتصادي ,وإنطلاقا من ثورة الشباب في فرنسا, أن نؤرخ لبداية الأزمة الإقتصادية العالمية التي ماتزال قائمة ومستمرة حتى اليوم , وهي الأزمة التي يحددها الخبراء بأنها تختلف عن الأزمات الدورية المعتادة في النظام الرأسمالي العالمي , وبأنها كما يقولون : أزمة بنيوية وهيكلية , وبالتالي فلايمكن حلها إلا باساليب غير تقليدية, منها ما يمس أسس النظام نفسه .... وقد وجدنا كيف كانت هذه الأزمة المستمرة تغير أشكالها في عقود الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي والعقد الأول من القرن الحالي ..إنه مجرد تغيير في الشكل وحسب.. ـــ أما على الصعيد الإستراتيجي فإن المشهد الذي إفتتحته ثورة فرنسا, وربيع براغ , قد إنتهى الى إزاحة الجنرال ديغول عن السلطة في فرنسا وتأثير سياسته الأوروبية من ناحية, والى الزلزال الذي أودى بالإتحاد السوفييتي بعد تدعيات معقدة عديدة تلت الغزو الروسي براغ.. إنه مع,تعمق الأزمة الإقتصادية العالمية , ثم إنهيار الإتحاد السوفييتي بعدها بعقد واحد , ووصول أثر ذلك مباشرة الى منطقتنا في الشرق الأوسط , سواء لناحية الحروب التي نشبت ومنها حربا الخليج الأولى والثانية وقبلهما الحرب الأهلية في لبنان , كما والمواجهات العربية الإسرائيلية التي إشتدت وتصاعدت , كما والإنهيارت الإقتصادية خصوصا في الطبقة الوسطى وماجرت من إنهيار القيم وبؤس الجماهير وإنتفاضاتها في مصر والمغرب خلال السبعينيات ..,الخ..الخ..هذا كله كان يجعل الأمر واضحا لكل القادرين على تأمل الصورة , بأن

ربيعا عربيا شاملا يحيط بالمنطقة من كل أطرافها..وبأن ساعة التغيير الكبرى بدورها قد دنت وحانت...وبالفعل فلم تتأخر الوقائع عن تأييد التوقعات ..إذ إنفجرت الثورة في تونس ثم لحقتها ثورة مصر التي كان تردي الأوضاع فيها قد وصل الى درجة عجزت فيه الدولة عن تأمين الخبز للناس وذلك قبل الثورة بأشهر معدودات ,وحدث عن الباقي ولاحرج....وتتالت السلسلة : اليمن ..ثم ليبيا ..وبعدها سورية ..ولاشك أنها ستتواصل لتشمل العالم العربي كله والمحيط الإقليمي كذلك ..... ـــ نحن إذن في الحقيقة , إزاء ربيع عالمي وليس ربيعا محليا محضا بأية صورة من الصور .. ـــ في إطار الصورة العامة سواء في شكلها كربيع عالمي , أو في تظاهرها الخاص كربيع محلي وإقليمي, تتقاسم التحليلات نظريتان إثنتان : النظرية الأولى موضوعية ,ترى في الربيع العالمي والإقليمي والمحلي سياقا طبيعيا لتطورات موضوعية في الواقع تقود وتدفع للثورة والتغيير .. أما النظرية الثانية, الملازمة للأولى والمنافسة لها بالطبع, فهي نظرية المؤامرة .. - يقول القائلون بالنظرية الموضوعيه , أن الأزمة الإقتصادية العالمية , التي شكلت ثورة الشباب في فرنسا أول رد فعل جماهيري عليها هي السبب الحقيقي الكامن وراء كل مايحدث من ثورات في الربيع العالمي , ومعروف أن الفساد والإستبداد يحيطان بكل ظاهرة إقتصادية صعودا ونزولا ..ترتفع معدلات التنمية والإزدهار الإقتصادي فيتقلص الفساد ويضعف الإستبداد ..فإذا ماتردى الإقتصاد إستشرى الفساد وإشتد الإستبداد تحسبا وتخوفا من الثورة..هذا من ناحية الإقتصاد ..أما من ناحية الإستراتيجية , يستطرد الموضوعيون بالقول : إن هزيمة أمريكا في فييتنام حتمت عليها أن تبدأ مسارا إعادة تشكيل توازنات عالمية جديدة وتحالفات إستراتيجية تتموضع فيها من جديد في سياق عالمي مختلف متعدد الأقطاب أو متوسع الأقطاب ..وهذا ماجرى فعلا مع دخول الصين الى نادي الإمبرياليات العالمي والى مجلس الأمن بالضرورة.. وبعدما قامت أمريكا بمناورتها الكبرى هذه إثر إنسحابها من فييتنام , بدأت بتشديد ضغطها على الإتحاد السوفييتي حتى إنتهت عبر عبر التحالف الأمريكي ـــ البريطاني عبر الثنائي ـــ ريجان , تاتشر ـــ ومبادرة حرب النجوم , الى فرض القناعة على النخبة الروسية الحاكمة وعلى رأسها جورباتشوف , بضرورة إتباع سبيل آخر في التنمية والعلاقات الدولية ..,هي القناعة التي قادت جوهريا الى الزلزال السوفييتي اللاحق الذي لم يكن سوى نتيجة من نتائجها ..لاغير وإن كان قد تم في شكل غير مرغوب ..الشكل فقط.. وقبل قناعة النخبة السياسية الروسية, كانت النخب السياسية في أوروبا الشرقية مقتنعة بضرورة التغيير ..وهذا مافعله ـــ دوبتشيك ـــ في ربيع براغ , مفتتحا الربيع الاوروبي الشرقي .. ـــ في الشرق الأوسط لاتحتاج النظرية الموضوعية لكثير عناء لفرض منطقها فنحن هنا أمام فسيفساء من تشكيلة إقتصادية وإجتماعية بالغة التردي والبؤس رازحة تحت إستبداد من نمط مضاعف بالغ العنف والقسوة دون مخارج حقيقية تلوح امام الجماهير وذلك وسط تعقيدات هائلة في واقع لايطاق ...كان الربيع العربي إذن في سياقه الموضوعي أكثر من حتمي ..وأقرب مما يظن .. ـــ وإذن تنتهي وإختراقاتها المتبادلة.. ـــ أما عندنا في الشرق الأوسط , فإن نظرية المؤامرة لاتحتاج الى عناء كبير للإقناع : ذلك أن هشاشة النظم الحاكمة والأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية في المنطقة . وهي الهشاشة الناجمة عن حداثة الدول, كما وحداثة المعاصرة في النظام العربي . التي يرجع تاريخها الى أقل من مائة عام بعد إنهيار الخلافة العثمانية ., وذلك مقابل حداثة الغرب التي يؤرخ لها بستتة قرون سابقة على الأقل على الأكثر , وبقرنين على الأقل في صورة عصر الأنوار , ..نقول حداثة المنطقة العربية هذه, الهشة والفتية , تترك المنطقة مكشوفة أمام سائر أنواع الضغوط وتأثيراتها , هذه الحداثة تقبل بكل أنواع وأشكال المؤمرات ولاشك...الى جانب كل تقبلاتها للسياقات الموضوعية ـــ النظريتان اللتان تتبادلان تفسير الربيع العالمي تعنيان في النهاية أن هناك واقع عالمي مازوم يشهد تغييرا عميقا يمس جميع أوجه الحياة وكل فئات البشر على إختلاف توضعاتها الإثنية والقومية والإيديولوجية والدينية والإجتماعية والإقتصادية ..ومن الطبيعي والمفهوم أن تسعى جميع القوى على إختلافها الى الى تكييف وتوجيه متغيرات الواقع وفق مصالحها ..ينطبق هذا أيضا على إنتفاضات الربيع العربي الذي تتشاطره بدوره النظريتان الموضوعية والمؤامراتية.. هناك قوى عديدة عالمية وإقليمية .زإستراتيجية وإقتصادية تسعى وبشكل حثيث ومستميت الى إعادة توجيه هذه الثورات بما يتوافق مع مصالحها ..لكنها وحدها الشعوب ووعيها التاريخي .ووحدها الطلائع الثورية والنخب السياسية الثورية هي التي يقع عليها اليوم عبء إدارة الدفة والصراع وفق مصالح الشعوب.. ـــ نقبل نظرية المؤامرة ..ولكننا نقبل أيضا أن هناك واقعا موضوعيا يحب أن يتغير ..وأن هذا الواقع الموضوعي قيد التغيير ,هو جزء لايتجزأ من صورة عامة لربيع عالمي ينشد نظاما عالميا جديدا ينبغي علينا النضال من أجل أن يكون نظاما أكثر عدالة تستفيد منه شعوبنا المقهورة....

النظرية الموضوعية الى أن الربيع العالمي ومعه الربيع العربي هما سياق طبيعي وموضوعي من ردود الفعل بعد شتاء قاس طويل لم تفلح فترة الرواج الإقتصادي العالمية المؤقتة التي تلت الحرب العالمية الثانية من تلافيه وإبعاد شبحه ..فكان لابد من الربيع والثورة والتغيير .... - لكن نظرية المؤامرة لها أيضا ماتقوله في هذا الصدد , فهي تنبري لتقول أن أيد خفية هي التي حركت ثورة الشباب في فرنسا وكان هدفها الحقيقي التشكيك في القيادة الكاريزمية للجنرال ديجول وسياسته الأوروبية المستقلة الرامية الى إخراج أوروبا من فلك المدارات الأمريكي والخروج من الحلف الاطلنطي وبناء البيت الأوروبي المستقل مايعني ضم روسيا الى سياسة اوروبية جديدة الأمر الذي من شأنه أن يشكل أخطر تهديد يمكن تصورة للولايات المتحدة الأمريكية ..وتمضي نظرية المؤامرة الى القول بأن ربيع براغ , وماتلاه في بولونيا وغيرها , لم يكن أكثر من حلقة في سياق الحرب الباردة بين الكتلتين الغربية والشرقية

كاريكاتير

إيلي صليبا

لبنان

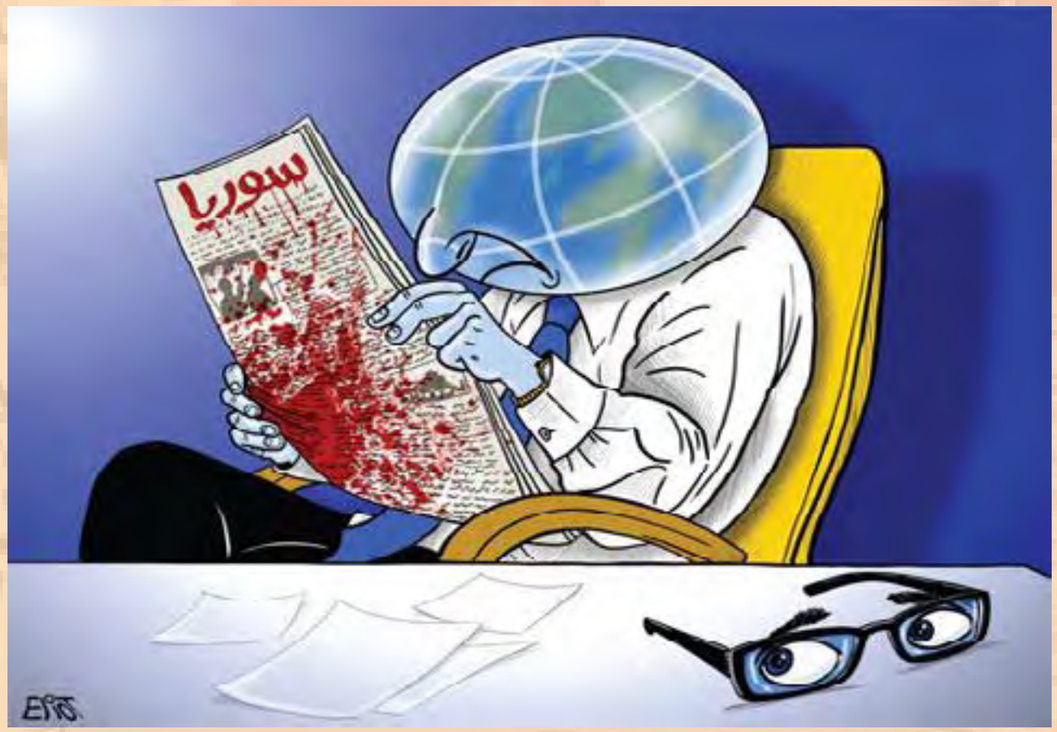
سوريا

مجازر

البركان و المستنقع

د.أحمد برقاوي

من أخطر الحالات التي يعيشها مجتمع ما حالة الركود التاريخي. و الركود التاريخي بالتعريف القضاء على أي قوى إجتماعية – سياسية محركة للتاريخ , وإذ يتحول المجتمع إلى خلو من هذه القوى مع وجود سلطة مناهضة للتاريخ وسيرورته فإن المجتمع يتحول إلى مستنقع تحرسه ثلة من الخنازير البرية . وإطمئنان السلطة لهذا الإستنقاع يزيد من تغولها وإستخفافها بالبشر حتى يسيطر عليها الظن بأن لا قوة قادرة على زعزعتها أبداً .فمنذ منتصف الستينات بدأت عملية تكون المستنقعات المتحالفة والمتشابهة في البلدان العربية التي شهدت إزدهاراً في فاعلية الفئات الوسطى وبخاصة الجيش .

وفي السبعينيات بدا وأن المستنقعات أخذت شكلها النهائي وراحت تزداد عمقاً و ثراءً في أنماط الوسخ التاريخي. خلال فترة واحدة تقريباً حصل أن إنتقلت السلطة إلى عدد من الطغاة عبر إنقلابات عسكرية , النميري في السودان عام 1968 , القذافي في ليبيا عام 9691 , حافظ الأسد في عام 1970 , السادات في مصر عام 1791 , مبارك عام 1981 , إغتيال الغمشي وإستلام علي عبدالله صالح 1978 , وأخيراً بن علي 1987 الذي تأخر على ما يبدو كثيراً .لسنا الآن في معرض تحليل الإنقلابات العسكرية وأسبابها , وما إذا كانت ثمرة تخطيط ما قائم في الغرب وأمريكا كما يرى الكثيرون . المهم في الأمر أن هذه الإنقلابات أسست لأشنع أنماط الحكم في العالم المعاصر . لقد وضع قادة الإنقلابات أمام أعينهم هماً واحداً وحيداً : البقاء في السلطة إلى " الأبد " . لقد ظل السادات يحكم مصر بعد إنقلابه عبر توريث السلطة بعد الموت إلى نائب عرف كيف يحافظ على السلطة مدة ثلاثين عاماً .وإستمر البشير بوصفه وارثاً لهوية سلطة جعفر النميري وسار بن علي على طريق الأسد ومبارك . وتعرف علي عبدالله صالح على طريق الإحتفاظ بالسلطة بشكل ممتاز بعد إغتيال الحمدي والغمشي .وأحكم الأسد يديه على عنق سوريا ثلاثين عاماً و أورث إبنه هذا الإحكام . وتحول القذافي إلى الحاكم بأمره على ليبيا . وسيطر صدام حسين سيطرة كاملة على مقاليد السلطة .كان الإختلاف النسبي بين هؤلاء مرده إلى إختلاف الحقل الثقافي – الإجتماعي الذي ظهر فيه كل طاغية منهم , وهذا أدى إلى إختلاف الستنقعات وإختلاف البراكين .نشأ المستنقع المصري وتطور في حقل مجتمع ذي علاقة عميقة بالدولة . وفي حقل دولة تستخدم الحد الأدنى من العنف . والتفاوت الطبقي عميق , والمجتمع المدني قوي , والنخبة ذات أثر الحياة والجيش مؤسسة قوية التأثير دون تدخل في حياة الناس

, والأصولية الإسلامية قوّت من شوكة أجهزة الأمن . لم يكن المستنقع المصري عميقاً بما فيه الكفاية لتدمير مصر تدميراً كلياً .في واقع كهذا لم تكن فكرة التوريث قابلة للحياة لأن المستنقع لم يكن عميقاً بما فيه الكفاية – كما قلنا لتحقيق ذلك .ولهذا كان الإنفجار داخل المستنقع سهلاً وقليل التكلفة , كان الإخوان المسلمون دخان البركان والشباب حممه .وغاب نظام مبارك عن مصر لتبدأ مرحلة الصراع على السلطة بين قوى دينية مغتربة عن التاريخ الواقعي – يمثلها الإخوان المسلمون – وبين قوى مدنية وعسكرية تنتمي إلى العصر . وسيبقى هذا الصراع قائماً لسنوات قبل أن ينتصر التاريخ الديمقراطي على تقاليد دولة عميقة بيروقراطية مركزية .

يقترب المستنقع التونسي من المستنقع المصري حيث المجتمع التونس قد حصل بأنيابه على نقابات وأحزاب وحيث التجربة الدستورية تركت أثراً مهماً على الوعي حتى على وعي لحركة الدينية الغنوشية . وفساد العائلة و الأصهر لا يختلف كثيراً عن فساد العائلة المباركية . ولكن هناك جانب مهم ألا وهو أن إبن علي لم يكن لديه من يورثه من الأبناء ولا من يتسلم أحد مراكز القوى كعلاء مبارك . إنه نظام بطالة وفقر وإستبداد .لم يكن الجيش في قبضة بن علي بالمعنى الدقيق للكلمة ولهذا عندما أيقن أن لا سبيل إلى مواجهة الثورة الشعبية حمل نفسه بكل خوف وأدب على الرحيل إلى مكان يعرف أنه لن يخله سياسياً وقيمياً . فهو قد أخذ صورة "الدخيل" الذي يطلب الحماية .لكن الفرق بين المستنقع المصري و المستنقع التونسي قائم في أن القيح الأصولي – السلفي المصري أوسع وأكبر وأعمق . ولهذا لم تستطع النهضة التونسية أن تحصد في الإنتخابات ما حصدته السلفية و الإخوان المسلمون . فيما تميز المستنقع الليبي بضعف جديد للمجتمع و للدولة معاً في مجتمع بالأصل ريفي – فلاحي عشائري. وصل الحاكم الفرد في طرابلس حد جنون العظمة مع برنويا لا يدركها إلا من تعرف عليه رؤية العين و دقق في كلماته . فملك ملوك أفريقيا وصاحب كتاب كان يظنه منقذ للبشرية كان خائفاً على ملكه ويرى الكل أدنى منه . كان مؤمناً إيماناً مطلقاً بأن الكل أدنى منه , ولهذا كانت نخبته الحاكمة ذات سوية متوسطة وعالية , وهي التي حملت عبء الإنتقال السياسي .

لم يستطع المال الريعي والجامعات الكثيرة أن تدمر البنية المناطقية – العشائرية بقرار . ذلك إن حرمان المجتمع من السياسة والنقابة و الحرية لا يسمح لأية بنية قديمة بالزوال عبر قرار إداري . ولهذا تحولت اللجان الشعبية إلى أجهزة قمع سلطوية شديدة البطش . فضلاً عن إن المؤسسة العسكرية بمجملها كانت في قبضة القائد .

كان إنفجار البركان داخل هذا المستنقع إنفجاراً فجائياً غير متوقع ولهذا كانت دهشة " القائد " قوية وعماء القورة لم يسمح له أبداً بالتفكير . وصار ما صار .

أما في اليمن بالمجتمع القبيلي اليمني المسلح لا يسمح – على ما يبدو – بإنتصار ديكتاتور فرد حاكم بأمره كما هو الحال في مجتمع ليبيا القبيلي , المسالم .

ولهذا كان الدكتاتور جزء من بنية مجتمع قبيلي دقيق في علاقته المتبادلة . فهذا السنحاني المنتمي إلى حاشد قادر على إدارة لعبة ديمقراطية وخالية من العنف . ولهذا إعتمد على الجيش وليس على رجال الأمن . فحرية الأحزاب وحرية الصحافة والتعبير كانت جنباً إلى جنب مع حرية الفساد من جهة وتوزيع القوى على الأولاد و الأقربين جداً من جهة أخرى .

ولهذا كان أول إسفين دق بعد البركان إنشقاق في الجيش يقوده واحد من آل الأحمر أي حاشد.

غير أن سجله الحافل في مواجهة القاعدة وقرب اليمن من السعودية ودخولها على الخط وبقاء البركان سليماً و التدخل الأمريكي كل ذلك سمح بنوع من تقاسم سلطة بدون علي عبدالله صالح .

إن الوحيد من بين أربعة بقي حراً في وطنه . فالقذافي قتل و مبارك سجن بن علي هرب وعلي عبدالله صالح بقي . ولهذا كان البركان اليمني ضعيفاً قليل النفثات أبقى على قوى النظام القديم عبر إتفاقية وإعتراف متبادل .

وآية ذلك أن حجم القمع كان ضعيفاً جداً , وحجم الفساد في دولة فقيرة بالأصل لم يخلق قوى شرسه محتكرة للقوة والثروة معاً . وحجم التدخل الخارجي المانع لإنتشار الفوضى هو الآخر كان كبيراً .

أما المستنقع السوري فهو المستنقع الأوسع و الأعمق من بين هذه المستنقعات . ولهذا كان البركان أشد .

فالمستنقع السوري رسوبي راكم قوته عبر أربعين عاماً في تأهب دائم لمواجهة أي نوع من أنواع البراكين عبر عصبية طائفية ملطفة بأيديولوجيا فقد تأثيرها المجتمعي و الحزبي هي الأيديولوجيا القومية, ووعي فلاحي قديم بالسلطة .

كان حجم القمع لدى المستنقع هذا لا مثيل له في العالم أجمع , فلقد سجن الإخواني والتحريري والبعثي والناصري والشيوعي من كل أنواع الشيوعي و المستقل , لقد حطم الجامعة والتعليم والقضاء – حطم المؤسسة ولم يبق على أي مكان في مؤسسة الدولة إلا ودمره .

لم يسمح بصحافة أو لمجتمع مدني أو بحركة سياسية أو بجمعية خارج سلطته إلا جمعية المسنينوما شابه ذلك .

في الآونة الأخيرة كان النفاذ من هذا الجدار الكتيم صعباً إلا في حدود وراح السوري ينوس بين تعايش مجبر عليه وتلاؤم من أجل أن تتحول الحياة إلى أمرٍ طبيعي من جهة وبين تنامي الأحقاد وإقتناص الفرص للإنفجار .

وكان الإنفجار لكن حجم المستنقع وعمقه ميزه عن الإنفجارات الأخرى .والمشكلة الآن هي الأتية : كيف يمكن للبراكين العربية أن تجفف المستنقع , وكيف يمكنها الحيلولة دون تكون مستنقع آخر؟ .

ساعات فاصلة...
على حافة الحرب.. في سوريا

د.محمد حبش

كان من الممكن أن نبقى مع هذا النظام، فقد استطاع أن يحافظ على الاستقرار أحد عشر عاماً في منطقة ملتهبة بالخوف والدم، فمنذ أحداث أيلول 2001 اشتعلت الحروب في المنطقة، واستطاع السوريون أن يتجنبوا نار هذه الحروب، ومرد ذلك بشكل رئيسي للقيادات الاجتماعية والدينية في سوريا التي نجحت في بناء ثقافة الاعتدال، وكان للنظام دور في ذلك حيث اكتفى بالبعبعة والصخب ولم يصدر أوامر عسكرية للتحرك في اي اتجاه.

عشر سنوات وأكثر من حكم الاسد الابن كانت كافية ليقول الناس إنه ليس مسؤولاً عن جرائم أبيه، وإنه صفحة جديدة من الحياة المستقرة والهادئة للسوريين. لم يكن هناك ديمقراطية ولا ما يحزنون، ولكن كان هناك عيش واستقرار وأمن، وكان المزاج الشعبي القبول بالراهن السياسي، على أساس ملكية دستورية غير معلنة، ولو سألت أي سوري خلالئذ لقال لك: الحكم لبيت الأسد، والناس عايشة. نحن الآن نشبه الملايين من السوريين الذين يعيشون في الخليج في ظل أنظمة ملكية، لا ديمقراطية فيها، ولكن لا أعتقد أن أحداً من السوريين ولا الخليجيين يفكر بتغيير المشهد طالما أنه يعيش بكرامة واستقرار، وهكذا كانتصورة الحال في سوريا. ربما كان هذا الموقف أنانياً لجهة أنه يتجاهل عناء المئات من السجناء السياسيين الذين عارضوا النظام بجرأة فزجهم في السجون وكذلك عشرات الآلاف من الأكراد الذين كانوا قد حرموا من الجنسية السورية طيلة أربعين عاماً، ولكنه على كل حال كان قناعة كثير من السوريين، وكان الناس عموماً يتقبلون فكرة انتقاص المزايا في سبيل المواجهة. شخصياً كنت أمارس المعارضة السياسية ولكن في إطار النظام، لم أكن معجباً بأداء الحكومات المتعاقبة وكنت على يقين أن الحكومات لا تستطيع تغيير الواقع طالما ليس هناك إذن سياسي من الرئيس، ولكنني أعترف أنني لم اتوقع ولم أتخيل هذا الحجم من الوحشية والإجرام لدى أركان هذا النظام، وكنت اعتقد أنه لو انتفض الشعب فإن النظام سيقوم بمعالجة الأمر بأسلوب براغماتي ولن يتحمل الرئيس أن يبقى في السلطة إذا نزفت الدماء، وكنت أظنه سيختار الرحيل الكريم معززاً مكرماً، وسيبقى في موقع قيادي اجتماعي وسرعان ما يعود للحكم على مراكب الديمقراطية!!! هكذا كانت أحلامي وتصوراتي التي لم يحالفها التوفيق في شيء!!!! كانت آخر فرص النجاة لسوريا هي مؤتمر الحوار الوطني في تموز 2011، ركزت في كلمتي على مطلب الشارع بأن سبب الثورة الحقيقي هو الظلم والاعتقالات والدور الأمني المتغول في البلد، وأن علينا أن نضع حداً لهذا التغول. إن أصدقاءنا في المعارضة لم يحضروا معنا وقد كنا نتمنى منهم الحضور، ولكن يجب احترام موقفهم لانه يستند إلى أساس أخلاقي متين... فالنظام لم يتوقف عن استخدام السلاح الثقيل ولا حتى ليوم واحد بغية إنجاح هذا الحوار، لقد أصر على الحل الأمني، واستمر إطلاق الرصاص في حمص وبانياس ودرعا خلال جلسات المؤتمر الأمر الذي تم تفسيره تلقائياً بأن النظام غير جاد بحل شيء من الكارثة. على حد قول فرويد نحن نسعى لتجنب الألم أكثر من سعينا لان نجد السعادة!.. وكانت قناعتي أن كل المطالب مؤجلة حتى وقف تغول النظام

وعنفه وفساده، كما قال تولستوي: إن الحرب التي تشنها الدولة تفسد الناس في عام واحد أكثر مما تفسدهم ملايين جرائم النهب والقتل التي يرتكبها الأفراد في عشرات السنين. فقد اقتصرت مطالبتي على أن يتم وقف العلمليات الحربية ومنع الجيش من الانخراط في المعارك في المدن، والإفراج عن جميع المعتقلين من سجناء الرأي ومن بعدهم سجناء الأزمة.... وكان السبيل إلى تحقيق ذلك هو تأسيس المجلس الأعلى لحقوق الإنسان، وهذا المجلس من مهمته أن يذهب إلى كل مكان يهان فيه السوريون، وكان إصراري على أن تكون للمجلس سلطة رقابية وتفتيشية حقيقية على الجيش والأمن والمخابرات، وأن يتولى رئاسته شخصية بارزة من المعارضة وخاصة من أولئك الذين ذاقوا مهانات المخابرات في فروع الأمن وسجون النظام. كما طالبت بصراحة بإلغاء المادة الثامنة التي يحتكر فيها البعث السلطة، وإلغاء المادة 48 التي تحصر ترشيح رئيس الجمهورية بحزب البعث، وطالبت بالتحول إلى نظام ديمقراطي تعددي، وطالبت كذلك بإلغاء القانون 94 الذي يقضي بإعدام الإخوان المسلمين وهو قانون همجي ليس له نظير في العالم، حيث يحكم بالموت على من ينتسب لحزب سياسي، وهي مطالبة كررتها عشرات المرات في مجلس الشعب ووسائل الإعلام المحلية والدولية. كنت سعيداً بما قلته في المؤتمر وقد نقلته كل وسائل الإعلام وهو موجود على اليوتيوب بكثرة، ولكنه كان صادماً تماماً لفريق السلطة الذي رأى في ذلك تجاوزاً لكل الخطوط الحمر، ولكن كثيراً منهم ظلوا يتحفظون ويفترضون وجود ضوء أخضر من الرئيس لرفع سقف الحوار!!. تطورت الأمور بشكل إيجابي وتولى السيد السفير الياس نجمة صياغة البيان الختامي وبعد جدل صاعق تم بالفعل إقرار هذه المطالب كلها في توصيات المؤتمر. كان الأمل حقيقياً في تجاوز الأزمة، ومع أنني لا أعلم الغيب ولكن الطريقة الوحيدة للتنبؤ بالمستقبل هو أن يكون لديك القدرة على صنعه، وهكذا كان وأعلن الرئيس بشار أنه مستعد لتحويل هذه التوصيات إلى مراسيم!!! وأعلن فاروق الشرع مراراً قال لي السيد الرئيس أعطوني توصياتكم وأنا أحولها إلى مراسيم. لم تكن سوريا تحتاج أكثر من هذا لتتجاوز الأزمة، وبالفعل فقد تم إقرار ذلك كله، وأنجزت لجنة الصياغة المطلوب، ووضعت الأوراق على الطاولة... قرأ فاروق الشرع التوصيات وشعر بأنها أكبر من تفويضه، وأن

عليه ألا يتعجل، واستأذن لمدة ربع ساعة، دخل خلالها ومعه مسودة التوصيات إلى غرفة خاصة وأجرى اتصاله بالأسد..
لم أتوقع أن يخرج الرجل ومعه موافقة الأسد لأن المطالب كانت عالية جداً، وقد اعترض عليها بشراسة أعضاء بارزون في حزب البعث، ومنهم عمران الزعبي وعمار ساعاتي وشعبان عزوز... بالمناسبة تم تعيين الأول وزيراً للإعلام والثاني والثالث عضوين جديدين في القيادة القطرية !!
بصراحة كانت أكثر أربع وعشرين ساعة طافحة بالأمل في حياة هذه الثورة فقد أعلن الأسد أنه سيحول توصياتنا إلى مراسيم وكنت على يقين أن حصول ذلك يعني انتهاء الأزمة.
لم تمض إلا ساعات قليلة حتى كان محمد حمشو في بيتي بعين الخضراء وهو صديق قديم ولكنه كان خصمي في الانتخابات الأخيرة، وما قصرنا بحق بعض في المعركة الانتخابية، وقال لي بالحرف الرئيس غضبان منك، وقالوا له أنك تجاوزت كل الخطوط الحمر!!
قلت له: أعلم بالطبع أنني تجاوزت كل خطوط الحزب والأمن والمخابرات، ولكن يجب القول كما قال ديزموند توتو أنك إذا كنت محايدا في حالات الظلم فقد اخترت أن تكون بجانب الظالم!! ونحن هنا من أجل أن نتخلص من هذ التغول الأمني وكنت على يقين أنهم سيغضبون ولم أكن أنتظر ثناءهم، ولكنني كنت أتصور أن الرئيس سيفرح بذلك لأنه يحتاج إلى موقفنا الجريء ليواجه به الأمن والجيش ويقول لهم يجب ان نحترم الشارع ونستجيب له.
كانت المفاجأة أن الرجل لا يفكر أبداً بهذه الطريقة، وبعد اتصالات متعددة مع الرئيس، قال لي الناس فهمتك غلط وعليك أن تصحح!! وبالطبع تولى السيد محمد حمشو ترجمة ذلك عبر قناة الدنيا التي كانت قد استنفرت بالكامل بكل كوادرها للقاء صارم لرد هذا الطير الآبق عن سربه، وقد تولت الحوار المذيعة هناء الصالح.
تلقت هناء توجيهاً صارماً بأن لا تستقبل اي اتصال، فقد كان هناك انقسام عنيف في الشارع، فهناك من وقف مع مطالب المؤتمر وأيدها، وهناك من رفضها بالمطلق وتم تصنيفنا خونة وانتهازيين، وكان من الممكن أن تكون الاتصالات نارية ومحرجة، وكلمني السيد العميد حسام سكر مدير مكتب الرئيس وقال لي بالحرف الواحد الرئيس يتابعك في كل كلمة، وهو ينتظرك بعد ساعة في مكتبه..
وعلى الرغم من الجو المتوتر فقد قدمت الحلقة وأنا في غاية التفاؤل وقناعتي أن الحل قادم، وأن المعتقلين سيجدون رياح الحرية خلال الساعات القادمة، وأن المجرمين الذين عذبوا الأطفال في درعا سيحاكمون، وأن أوامر صارمة قد أعطيت للجيش لسحب الدبابات من المدن كما قال لي فاروق الشرع، وأن سوريا ذاهبة الى مجلس أعلى لحقوق الإنسان، وتعديل الدستور وكنت سعيداً أن يتم هذا الاصلاح كله على يد بشار الأسد فهذه أفضل طريقة لتجنب الخراب والفوضى في سوريا.
قلت يومها في سكاي نيوز الأمريكية: يجب أن تتم هذه الاصلاحات مع الرئيس بشار، في هذه اللحظة ليس من مصلحة سوريا أن يرحل، قلت لهم : لو أن بشار ركب الطائرة الآن ورحل هو وأسرته وأخوه ماهر وكل الأسرة واختار بلداً آخر فهل نكون قد خدمنا سوريا أم أدخلناها في نفق مظلم؟؟؟ هكذا كانت قناعتي... ومن يدري الغيب...
كنت أظنه سينجز الإصلاح، ولم أكن أتصور أن يفشل في تحقيق آمال الناس بهذه الطريقة، وأنني سأقف على المنابر ذاتها لأقول له..... ارحل... وارحم نفسك وارحمنا....
خلال شهر تموز 2011 تحدثت في أكثر من مائة منبر ووسيلة إعلامية وأنا أبشر الناس بتوصيات المؤتمر العظيمة، وبالوعود التي أطلقها الأسد والتي ستنهي كل الصراع في سوريا.
تراجعت تلك الآمال تدريجياً بعد أن نامت التوصيات في أدراج الاسد ولم يتحول أي منها إلى مرسوم كما وعد، وبعد أن رفعت إليه توصيات فلاسفة الاستبداد والقهر الذين حذروه من التورط في تلبية مطالب الشعب التي لا تنتهي، وأن عليه أن يستمر في اللعبة ذاتها التي مارسها أبوه والحكم بالحديد والنار.
وبعد نحو ثلاثة أشهر شكل الأسد لجنة لصياغة دستور جديد ولم يخطر على بالي أبداً أن الدستور الجديد سيكون مصمماً على مقاسه، فقد ظلت فترات الرئاسة سبع سنوات، كما نصت مواده على أن الدستور يجب ما قبله ومعنى ذلك ان الأسد سيستأنف دورتين جديدتين من عام2014 إلى عام 2028 وعند ذلك سيكون حافظ بشار الأسد قد بلغ 62 عاماً ومن الممكن بتعديل دستوري بسيط أن نطمئن على مستقبل سوريا!!!.....
كانت الأسئلة تنهال علي من كل صوب، وكانت أجوبتي تبدو يوماً بعد يوم أكثر برودة وتعاسة، وأدركت أنني تورطت في نشر الأمل، ولكن هل لدينا شيء نصنعه إلا الأمل، وهذ ما فعلناه، في حين أن الجيش والمخابرات استأنفوا مشروعهم الدموي، عبر مكتب الأمن القومي الذي كان يقوده رجل بلا قلب ولا مشاعر، وهو هشام اختيار، وقد أعلن مباشرة لأهل درعا ومن قبل ذلك لأهل عامودا في القامشلي أننا مستعدون لتكرار مجازر حماه!! وبالطريقة ذاتها .. لحماية هذا الوطن الغالي!!

هكذا فقد تبخرت الآمال التي عقدناها على المؤتمر التشاوري، فلا السجناء وجدوا الحرية ولا المجرمون سيقوا للمحاكم ولا المهجرون عادوا ولا المادة الثامنة تم تغييرها ولا المعارضة ساعدتنا في شيء، وبدا أننا مارسنا دوراً سخيفاً في تجميل نظام قبيح لا يفكر أبداً بتغيير قواعد لعبته الدنيئة القائمة فقط على القمع بالبسطار، وبدلاً من العمل بتوصيات الخلاص فقد قام النظام بتعزيز ثقافة الخضوع للبسطار العسكري، وفي صورة مؤلمة لم يعد النظام يتحدث عن عقل الجندي ولا مهارته ولا ثقافته الحربية، واقتصر التركيز على البسطار العسكري ووضعت له المجسمات في المدن واحتفل المحافظون بتكريم البسطار العسكري، ورسمت عشرات اللوحات القميئة للبسطار العسكري وتم تلوينه من أسفل بلون السماء الزرقاء...
ومشى العشرات من النسوة خصوصاً في ساحات عامة وعلى رؤوسهن بسطار الجيش، ووضعت فيه زهور تعيسة!!
واعتبر ذلك شهامة وطنية، تغنى بها التلفزيون السوري، ووخصصت برامج تلفزيونية بحالها للحديث عن البسطار العسكري وما أودعت فيه الجماهير من قيم نبيلة وعظيمة!!
بعد أشهر قليلة ونتيجة الإصرار على الحل الأمني، والمظالم الرهيبة التي ذاقها المعتقلون في السجون، ونتيجة لرفض النظام تقديم تنازلات حقيقية للشعب الثائر، أعلن عن تأسيس الجيش السوري الحر، وانتكست بشكل مريع كل آمال السلام والوئام التي لاحت آخر بوارقها في اللقاء التشاوري برئاسة الشرع.
شهادتي للتاريخ أن اليوم الذي قرر الناس فيه اللجوء إلى خيار الثورة المسلحة بكل ما تعنيه هو انسداد آفاق الحوار بعد أن كذب النظام على المتحاورين في صحارى برئاسة الشرع.
ومع انهيار آخر فرصة للحوار برعاية الأسد، ومع اشتداد وحشية الفرقة الرابعة والمؤسسات المخابراتية والعسكرية، أصبح من الوارد أن يتوجه الناس نحو السلاح للدفاع عن أنفسهم بعد أن بدت القوى السياسية عاجزة عن وقف أي تحرك عسكري على الأرض.
كان ذلك في تموز 2011 قال لنا الرئيس يومها أعطوني توصياتكم وأنا أحولها إلى مراسيم، ولو فعل لجنب سوريا كل شيء!!!! ولكنه باعهم الأحلام والأوهام واستمر في إطلاق دباباته في المدن وبالتالي استمر حصاد الموت...
ثلاثة لا تعود إذا مضت: الكلمة إذا نطقت بها والرصاصة إذا أطلقتها والثقة إذا ضاعت.... محض ذكريات.... وأسى.

تحطيم الأيقونات بين الوهم والإرهاب الثقافي

سلام كواكبي

في الطفولة، نحلم بشخصيات خيالية تحدثنا عنها روايات الجدات حيث نسعى لرسم مغامراتٍ ذاتيةٍ مرتبطةٍ بها. وعندما ندخل سن المراهقة، نبدأ بعمليةٍ تحويل أضغاث الخيال إلى شبه واقع، ونبدأ في سرد الحكايات التي لا اساس لها من الواقع أو أن أساساتها مهجّنة بمساعدة طيشنا أو خيالاتنا المكتسبة طولاً وعرضاً منذ الطفولة. وحينما يحلّ الشباب مبكراً غالباً، نبدأ في اختيار التوجّه وبالتالي نغرق في قراءة الكتب وسماع الموسيقا ونختار رموزنا الروائية والتاريخية والسياسية والغنائية والفنية إلخ. ويبدأ التكوين ببناء سيناريوهات تتنوع بين لقاء هذه الشخوص أو تقمّصها. وتبدأ محاولات التقرّب منها عندما تتاح الفرصة خيالاً أو حقيقةً. وكم هرفنا بما لا نعرف وادعينا وصلاً بمشاهير الرواية أو الفكر أو الفن. ولكن هذه المرحلة كانت أساسية في بناء وعينا وترتيب اولوياتنا. وصار لكل منا مثله الأعلى، وبدأنا نتبارى بإيراد مقتطفات مما نهلناه في كتبهم. وصار الشاطر منا من يأتينا بصورة له إلى جانب الإيقونة الرمز ولو كانت فوتوشوبية أو عن بعد. وجاءت الحياة العملية التي ساعدت بعضنا في الوصول إلى مقاربة هذه الرموز أو «مقارعتها» فتنوّعت ردود الفعل وتلوّنت المشاعر مزيجاً بين تعزيز الإعجاب أو الولوج في الاحباط.

في هذا الإطار، وفي زمن يبدو بعيداً جداً، أي في بدايات الحراك السوري، وفي مساءٍ باريسيٍ بارد، دعتني مؤسسة بحثية فرنسية إلى ندوة حوارية حول الثورات العربية إلى جانب شخصية عربية مشهورة جمعت في ثناياها الأستاذ جامعي والباحث الاقتصادي والخبير الدولي والمسؤول السياسي التنفيذي السابق. هذا الرجل "المعجزة" أثرى المكتبات بعدة مؤلفات "مرجعية"جرت ترجمتها إلى عديدٍ من اللغات.وقد شعرت عندما استلمت هذه الدعوة، بأنني من أكثر المحظوظين في الكون لألتقي مع علمٍ من أعلام الفكر الذين نهلت من كتاباتهم في مرحلة تكويني العلمي. وزادت غبطتي عندما قيل لي بأننا سنكون المتحدثين الوحيدين في هذا اللقاء. فياله من تكريم لشخصي المتواضع والذي سيبدأ الغرور في التسرّب إلى محياه بعد هذه الأمسية التي جاور وحاور فيها الكبار.

ومن الطبيعي أن الخوف قد تسرّب إلى عروقي وبأن الرهبة قد سيطرت على نبضي، لأنني سأكون في حضرة هذه القامة، وربما، والعياذ بالله من كلمة ربما، سأُقارن بها. أو حتى، يمكن للبعض، وهذا شائع، أن يحاسب كلماتي وما تحتويه من ترّهات وعموميات مقابل عصارات الفهم والعلم والمنطق التي سترد على لسان الأيقونة الفكرية المرجعية العظيمة. وبدأت، كالتلميذ النجيب، في الإعداد باجتهاد لهذا اللقاء. وعدت إلى "مقاعد" الدراسة في غرفتي أجمع كتبه وأبحاثه وأستعيد ما غاب عني من ممارسة في ظلّ انخراطي في الشأن اليومي، وانغمست في قراءة نصوصه العلمية وتحليلاته للعلاقات الدولية في ظل النظام العالمي الجديد. وللاستراحة من الانهماك في القراءة، بدأت أضع السيناريوهات اللازمة لكي تلتقط لي صورة مناسبة إلى جانبه أو وراءه لا فرق. المهم أن أكون في فضاءه الجغرافي القريب، لأتبجّح أمام أصدقائي، وخصوصاً صديقاتي، بأنني كنت إلى جانب هذا الكبير، ولربما حتى تقاسمت الصورة على شبكات التواصل الاجتماعي لأحظى، بمعيته، على استحباب الزوّار، ولو لمرة في الموسم. وفي هذه الحالة من الايفوريا عالية الدرجات، أهملت أن أعود إلى مقالاته الأخيرة لأتطفّل على مواقفه السياسية حول الثورات العربية وخصوصاً فيما يتعلّق بالشأن السوري. مع بدء الأمسية الحوارية، قام المنظمون، بإعطاء الكلمة الأولى إلى المدعو/النجم طبعاً تناسباً مع قيمته العلمية وعمره الزمني. وكان الحديث يتناول مجمل انطباعاته بخصوص الثورات/الاحتجاجات/التمردات العربية.وقد انتابني شعورٌ غريب "قضّ مضجعي" الاعجابي من خلال سماعي لعبارات لم أتوقعها من قامة بمستواه بخصوص "المؤامرة" و"أنبوب الغاز" و"المخطط الصهيوـإمبرالي" و"البترو- دولار الثوري" إلى آخره من هذه التعبيرات التي يبدو أن استعمالها المجرّد من الأبعاد الأكثر تعمّقاً يملئ مقالات ذات سوية منخفضة في صحفٍ منخفضة المهنية ولمستكتبين منخفضي العلم والثقافة.فتوقعت، وأملت، بأن يتوقف الأمر عند هذا الحد لنصل إلى الكلمة المفتاحية الأشهر

"ولكن" لكي يكون الشأن السوري بعيداً عن هذا التبسيط والتعجّل العائدين ربما لرغبة في الاختصار والانخراط في العشاء والشراب الحاضرين بكثافة وبنوعية عالية المستوى. ولكن، وعندما خاض "المرجع" الكبير في الشأن السوري، أصابتني "رعشة" المخدوع لحظة دخوله إلى "مخدعه" ليجد بين دفتيه "خيانة" موصوفة لا يقدر على التعامل معها إلا بالصمت والألم. وإن ثار، فلثورته عواقب لا يمكن أن تحتملها منابر بهذا المستوى. وتعاقبت من ثغرهالعبارات التي تخلّت عن مرجعية المنهج التحليلي المنتظر منه وتأبّطت كل ما حفلت به نظريات المؤامرة بأبعادها المحلية والمستوردة. فعرّج على كل ما سبق من تعبيرات "مؤامراتية" وزاد عليها ما لذّ وطاب ارتباطاً بالمسألة السورية. فكاد أن ينسى وجود كائنات بشرية في هذا البلد، وتبدّى له بأن كل ما فيه هو مصالح اقتصادية/نفطية/غازية/تجارية/جيواستراتيجية... تعبث بها جموعٌ من الخونة والمتآمرين والجهلة والظلاميين. وكانت خلاصة فكره الجليل: إننا شعوب لا تستحق الحرية وفي أفضل الأحوال، فمستبدٌ عادلٌ أو متنورٌ سيكون حلاً وسطاً وأكثر ما نستحقه كرعاعٍ غير مؤهلين للديمقراطية. بعد تمالك الأنفاس، وحساب الأخماس والأسداس، تقدمت الى ساحة الوغى، واستللت أفكاري المتبعثرة بمنةً وبسرة نتيجة أمواج التشتيت الهائجة التي تعرضت لها من خلال ما سبق وسمعته. وما لبثت أن تناسيت "مقامه" المنزّه وقابلت حججه البلاغية بحججي العلمية دون أن أبتعد لحظة عن التزامي الهدوء معتمداً أساساً وأولاً على ما استعدت قراءته له تحضيراً لهذه المناسبة. لدرجة أنني استخدمت بعض التوصيفات الواردة فيما سبق وكتب وأسهب لكي أوضّح بأن موقفه قد تعرّض للتغيّر أو للتغيير لسبب أجهله شخصياً. ولكن العلوم السياسية، وخصوصاً الاقتصادية، قادرة على أن تحيط بالأسباب حتماً اعتماداً على تراثٍ كوني قديم ما فتئ يوثّق عُرى الصداقة أو التبعية بين المستبد والمتمجّد الذي تخلى عن مجده في سبيل مكتسبات عينية أو مالية. وبالطبع، لم أتلفّظ بأيٍ من هذه العبارات التي جالت في خاطري لأنني أعتبر ان المجال كان لمقابلة الحجة بالحجة ولتبيان ان "استشراقيته" المستعادة لا تلتزم بعديد كتاباته حول الغربي المُسيء للشرقيين والتي كانت تنتقد أيّما انتقاد التركيز على عجز هذا "الشرقي الجاهل" على تشبّع مفاهيم الحرية والعدالة الاجتماعية. ومقالاته التي لم تتوانى عن إدانة الرؤية العوجاء أو المشوهة للمسألة الدينية وربطها بمكوّن ثقافي مهلهل تجب إعادة صياغته. وأخيراً، رفضه الشديد للنظرة الاستشراقية العمياء التي لا تجد في المنطقة سوى مشكلة أقليات حان قطافها. وقد وصلت إلى خلاصة مؤلمة بعض الشيء، في زمنٍ صار فيه الألم رفيقاً للدرب. وكانت كلماتي الأخيرة، وبعد أن ضبطت إيقاعي بشكلٍ أبتعد عن التشخيص، قاسية للغاية، وها أنذا أعترف. ولكن قسوتها لا تبرر في حال من الأحوال أن أتراجع عنها أو أن انتقد تبنّيها. فماذاحملته هذه الخلاصة؟ حتى ابتعد عن اعتبار بأن ما أورده صاحبنا، وصاحبنا هذه مرتبطة بأنني خففت من درجة التبجيل بعد كل ما سمعت، يحمل شيئاً من المنفعة المباشرة المرتبطة بالمستبد أو غلمانه أو جواريه، وسعياً لتحاشي اعتبار عمله كمستشار "تقني" لفترة مع مستبدين كثر في المنطقة مؤشّراً على طيّه لصفحة الضمير واعتباره بأن انبوب المنفعة الذاتية يمكن أن يمر فوق المبادئ والقيم. أعطيت لفكرتي منعرجاً ثقافوياً. فاعتبرت بأن ضعف الانتماء الفعلي إلى فئة المثقف العضوي هو العامل الأساس في بناء/تهديم موقفه الحالي. واستعدت تجربة الحرب اللبنانية، وهو عنها ليس بغريب، وبأن ضعفاء المثقفين والمفكرين، وبعد إضفاء الصبغة الطائفية/الدينية/المذهبية على المقتلة، انحرفوا أو تراجعوا أو تموقعوا أو تقوقعوا في سراديب انتماءاتهم البدائية بعيداً بسنوات ضوئية عما اشتغلوا عليه أو أنهم أوهمونا بأنهم اشتغلوا عليه وأوسعوه تمحيصاً وتحليلاً ونقداً "بنيوياً وهيكلياً". ولم استثنني من انتمى إلى "الأغلبية" أو "الأقلية" من ملاحظتي. واعتبرت بأن المثقف العضوي المتجرّد عملة نادرة في ثقافتنا لأسباب يطول شرحها هنا ولكنني شرحتها هناك. فما كان من "صاحبنا"، والمعترضتين هنا استباقاً لأي اتهام بالصحبة الحقيقية، إلا أن علّق، وبفرنسية عالية المستوى

وحادّة النبرة : "حديثك هو عبارة عن ارهاب فكري". وأضاف، لا فضّ فوه، بأنني أُعبّر في كلامي عن مصالح قوى خفية تسعى إلى السيطرة على مصادر الثروات في بلادنا، ليبقى في مجاله الاقتصادي/المالي، ناسياً بأن من عمل لديهم مستشاراً ومن يدافع عنهم، نهبوا ما استطاعوا اليه سبيلاً، وما لم تصله أياديهم وأفواههم التي انتقلت من مرحلة الشفط إلى مرحلة اللهط (والتعبير للمؤرخ الكبير عبد الله حنا)، فقاموا بتدميره منهجياً وبتؤدة. وعقّب بعض "الفرنجة" على ما تفوّه به مستغربين فوقيته العلمية والتعاملية، مُشيرين إلى أن فقدان الحجة تدفع إلى التهجّم غير المبرر. وقارن آخرون بين ما يكتبه بعض جهلتهم في الصحف عن أمور الأقليات والتطرف الديني وعجز الثقافة العربية / الاسلامية عن تبني مفاهيم الحداثة، بما جاء على لسان "أيقونة" الفكر العالم ثالثي. وانتهى الحوار بهذه الجملة "المعترضة" ولم أبخل في التزام الصمت حداداً على حلمٍ عاشني لسنوات بأن التقي يوماً بكاتب ما قرأته ونهلت منه بشغف وإعجاب. إنها الأساطير "تموت" جالسة، بما أنه كان جالساً، والأوهام لا تُحيي العظماء وهم رميم. من المفيد والمهم والإيجابي أن تكون لدينا أيقونات فكرية أو فنية، ومن الصحّي والمحمود أن نحلم بمجاراتها أو مقابلتها أو مقارعتها يوماً. ولكنه أيضا من المفروض أن نحصّن الذات أمام خطر الوقوع في الخيبات، وما أكثرها في زمننا الأغبر الذي

نعيش. كم من شاعر وموسيقي وتشكيلي وكاتب وسينمائي، انحاز إلى ذاتيته المفرطة في التعاطي مع الهمّ العام، واستقال من واجبه الأخلاقي كشخصية عامة ينتظر منها الكثيرون الرأي السديد وإعطاء المثال وتكوين القدوة. ربما في هذا طوباوية تُثقل التحليل وتُبعده عن الوقائع المُعاشة، ولكن الحلم هو جزء من الحياة، وسأستمر أحلم بلقاء هنا أو هناك مع أيقوناتي المُبتغاة واستعد للخيبة تلو الخيبة. إنها الحياة.

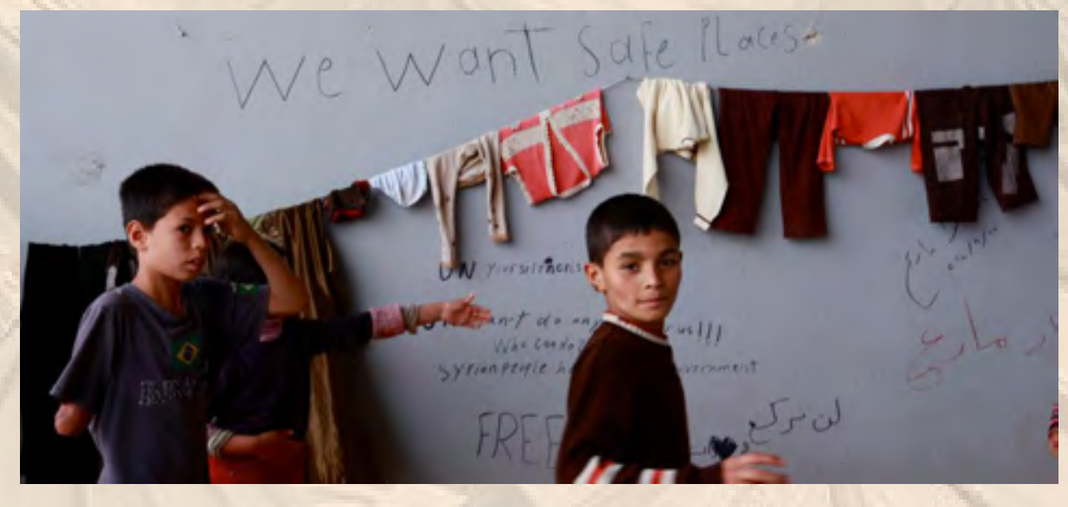

مخيمات اللاجئين

مخيمات اللاجئين

عدرا العمالية.. الخاسر الأكبر هم المدنيّون ..

زويا بدّور

منذ مساء اليوم الأول لسقوط عدرا العمالية بيد قوات المعارضة، تنتظر أم يوسف رسالة من ابنها على الهاتف المحمول، هذا ما ترجوه بعد انقطاع الاتصالات الأرضية وازدياد الصعوبة في الاتصالات الخليوية، الرسائل النصية هي الوسيلة الوحيدة المتاحة، كلمتين مختصرتين «نحنا بخير»، ترسم بعدها الأم بيدها إشارة الصليب وتتضرع للسيدة العذراء أن يحميه ويحمي أطفاله وزوجته في عدرا العمالية.

مرةً واحدة استطاع يوسف الاتصال على الهاتف المحمول، ظهيرة يوم الأربعاء، أخبر فيه ذويه أنه وزوجته وأطفاله الثلاثة بخير، وماذا عن المسلحين؟ تسأله والدته التي علقت في صدر بيتها صورةً للأسد الأب وأخرى للأسد الابن، ليشرح لها يوسف قائلاً: «دخلوا اليوم صباحاً إلى المدينة وجالوا على البيوت وفي حوزتهم قوائم اسمية قالوا إنها لمطلوبين، وطلبوا منا البقاء في البيوت أو النزول إلى الأقبية» ويحاول يوسف جاهداً طمأنة والدته بالتأكيد أنه وكل سكان البناء الذي يقطن فيه ليسوا مطلوبين وأن معاملة المسلحين كانت جيدة، نافياً كل ما يصل إلى آذان عائلته من عمليات قتلٍ على الهوية.

لكن ما أخفاه يوسف عن والدته، صرح به لشقيقه وليد واصفاً المسلحين الذين دخلوا المدينة بالإسلاميين المتشددين، لحاهم طويلة، يرتدون سراويل وفوقها ثوب يصل إلى ما فوق الركبة(على الطريقة الأفغانية)، وصوت تكبيراتهم يصل إلى داخل البيوت، ويتابع همساً "شاهدنا من نافذة المطبخ رؤوساً مقطعة ومرمية بالشارع لرجالٍ" يؤكد يوسف "رؤوس بلا أجساد لرجال فقط، وليس هناك نساء أو أطفال". وينقل يوسف أن الاتصالات الأرضية تم قطعها بعد أن دخلت الكتائب إلى مقسم الهاتف، ودخلت مركز الشرطة أيضاً.

واستمر يوسف بإرسال الرسائل النصية عبر الهاتف المحمول إلى أن انقطعت يوم السبت 2013/21/14 وسط أنباءٍ عن استمرار الاشتباكات بين جيش النظام وكتائب المعارضة.

عدرا العمالية تضم ما يقارب 50 ألف نسمة من العاملين والموظفين في الدولة، يتوزعون على 8000 شقة سكنية، إضافةً إلى حوالي 30 ألف مهجر ونازح قدموا إلى المدينة من معظم أنحاء الغوطة لا سيما دوما، شهدت فجر الأربعاء 11-12- 2013 دخولاً لكتائب إسلامية، استطاعت السيطرة على المدينة بالرغم من وجود ما يزيد عن 500 عنصر من اللجان الشعبية، وستة حواجز بعضها مدعوم بالأسلحة الثقيلة. بالإضافة لكونها خزان بشري لموظفين عسكريين ومدنيين مازالوا يؤيدون النظام، فإن موقع عدرا العمالية على كتف الغوطة الشرقية التي ترزح تحت الحصار منذ ما يزيد عن عامٍ تقريباً، وقربها من دوما إلى الجنوب الغربي منها، ومحاذاتها لعدرا البلد (فيها سجن عدرا المعروف) وعدرا الصناعية، وقربها من الضمير في الجنوب الشرقي، التي تدور حولها معارك ضارية، حيث سقطت عليها عدة صواريخ أرض أرض متتالية، لحظة إعداد هذه المادة مخلفةً خلفها مذبحةً تجاوز عدد ضحاياها الـ 25 شهيد، وقربها من أوتستراد دمشق حمص الدولي، كل الميزات لموقع المدينة ربما ما دفع قوات المعارضة للانقضاض عليها. بالمقابل تحاول قوات النظام المدعومة بقواتٍ عراقية وأخرى من حزب الله الدخول إلى المدينة، وسط أنباءٍ تحاول ترويجها بعض الصفحات الموالية عن سيطرة النظام على جسر بغداد في تلك المنطقة، في ظل اشتداد لغة التهديد والوعيد من قبل جيش النظام.

وفي الوقت الذي تحاول آلة النظام الإعلامية نشر الشائعات، والترويج للعديد من الأخبار المتناقضة حول ما جرى في المدينة، في أحيانٍ كثيرة حول واقع الحال بالنسبة لعدرا العمالية، نجد صمتاً مريباً لناحية إعلام المعارضة، والناطقين الإعلاميين باسم الكتائب التي دخلت المدينة، فلم يتسرب سوى القليل من الأخبار التي تنشر بين الفينة والأخرى دون ملامسة حقيقية لما يجري على الأرض.

وكما هي العادة ومنذ اليوم الأول تحدث إعلام النظام عن مذابح لعائلاتٍ مسيحية ودرزية وعلوية، أي ذبح على الهوية، وفقاً للانتماء الطائفي، إلا أن يوسف المسيحي والموالي والذي لم ينخرط في أي أعمالٍ "تشبيحية" بقي سالماً هو أولاده وزوجته، لكنه بالمقابل رأى رؤوساً مقطعة، في فعلٍ تمارسه الكتائب الإسلامية وترفضه العديد من القوى الثورية على الأرض.

وفي الإعلام السوري وحده يتحدث أحدهم بصفاقة عن ضرورة اجتثاث مدينة دوما واصفاً إياها بالسرطان، وذات الرجل تحدث عن أن النازحين إلى عدرا العمالية أشبه بحصان طروادة فهم خلف دخول المقاتلين إليها.

ومرةً يقول إعلام النظام أن الجيش سيطر على أبنية وجزر داخل عدرا العمالية ووصلوا إلى المستوصف، ومرةً أخرى يتبين أن هذا الكلام غير صحيح، ليكون الواقع هو قصف النظام للمدينة من خارج حدودها والأضرار لا تتعدى الماديات حسب مصادر المعارضة، وسيطرة الجيش الحر على المدينة من الداخل. ورغم صمت المعارضة إلا أنها تتحدث بين الحين والآخر عن أن وضع جميع الأهالي بخير، مع استمرار قطع الكهرباء و قطع الاتصالات الأرضية والخليوية، وانقطاع الماء، بينما تؤكد تنسيقية عدرا البلد بشكلٍ شبه يومي على قيام "المجاهدين بتأمين مستلزمات الأهالي وكافة الأمور الغذائية والإغاثية والصحية". وإلى هذه اللحظة لم تتضح بعد الأهداف الاستراتيجية الكامنة خلف دخول مدينة عدرا العمالية، فمن جهة تعتبر نقطة هامة لاتصالها مع أوتستراد حمص الدولي، كما تعتبر المدينة موقعاً استراتيجياً في عمق الغوطة التي تشهد حصاراً مطبقاً، ومعارك مستمرة، على كافة جبهاتها، وذهب البعض ليتحدث عن أن السبب الرئيسي وراء دخول مدينة عدرا العمالية يكمن في كسر الحصار عن الغوطة وتأمين القمح والدقيق والمحروقات المتواجدة في صوامع الحبوب ومحطة تشرين في مدينة عدرا، وسط الجوع الذي تعانيه الغوطة. ويزداد توارد الأنباء عن رهائن وقعت في يد مسلحي المعارضة من العائلات "العلوية".

بالمقابل قامت مخابرات النظام إلى اقتحام مركز إيواء النازحين في مدينة جرمانا واختطاف عائلتين من الغوطة الشرقية، ليكونوا رهائن بيده لحين الإفراج عن رهائن عدرا العمالية.

وتأتي معركة عدرا العمالية في الوقت الذي تشتد فيه معارك القلمون إلى جهة الشمال من عدرا العمالية، وتلك الجبهة التي يعتبرها كثيرون مثال شؤمٍ على المدنيين، بسبب "الانسحاب التكتيكي" الذي قامت به الكتائب وعلى رأسها "جيش الإسلام" الذي يعتبر أهم الفصائل التي دخلت قبل أيام إلى عدرا العمالية، حيث ترك المدنيون لملاقاة مصيرهم على يد جيش النظام، والذي تمثل بالمذابح كما حدث في النبك، لتتعالى الأصوات في وجه الكتائب أن لا تدخلوا إلى المدن الآمنة إذا لم تكونوا قادرين على حمايتها، لكن هل يسمع جيش الإسلام وغيره من الكتائب هذه النداءات؟.

الثورة بين طلقتين

يوسف المصري

هذا ما حالت عليه الامور بعد عامين ونصف من بداية إعلان الثورة السورية, ثورة ضد الظلم والطغيان.فبين قذيفتين طائشتين في مسار الهواء, لا تملكان سوى القدرة على القتل, وتحاولان تدمير الخصوم في نظر الخصوم, أصبحت البلاد ركاماً وذكرى..«هنا شجرة سرو \هناك منزل أثري\ قبل شارعين رجلٌ يبيعُ التبغ \ .. الخ».وأصبح الشعب السوري مجالاً للتشرد والجوع والخوف وإرهاب الروح. أصبح مجالاً للموت الابتكاري من أجل لقمة عيش ضائعة في بلاد لم تعد تعرف قاتلها من قتيلها.

يقول أحد العابرين في مدينة حلب:

-كنا نمتلك اليقين, بأن النظام بكل مكوناته, كان راعياً رسمياً للجهل والتخلف والتعصب والقمع والفساد وبؤرة لاحتواء المتطرفين والجهاديين, لذلك كان التنسيق من أجل الخلاص والبدء بالمظاهرات. بدأنا الثورة من جوامع حلب. لم نكن نريد الوصول إلى ما وصلنا إليه. لم نكن نرغب بالخلاص من استبداد طائفة تتحكم بمصائرنا الاقتصادية والاخلاقية والسياسية, لنستبدلها باستبداد مذهبي \ ديني. أنا رجل متدين لكن أفعالي هي من تجعلني أفوز بالجنة وليس قتل الأبرياء وذبحهم. بعد عامين على بداية الثورة لم يختلف الأمر كثيراً في السياسة العسكرية للألوية والاجنحة الجهادية عن مثيله قبل عامين في القمع والاستبداد الأسدي.. \ الفساد \ تكميم الأفواه \ التشريع اللاديمقراطي لمزاجية قلائل ممن يعتبرون أنفسهم أوصياء الله على الأرض \ ممارسة الاقصاء الفكري على من لا يشابههم ولا يتفق معهم في آرائهم. لم نعد نرَ سوى أسماء كتائب وألوية دينية متطرفة وجهادية, لا نعلم كيف سُمّيت ولا من هم مؤسسوها ولا الجهات الداعمة لها.. (الهيئة الشرعية \ جبهة النصرة \ الجبهة الاسلامية السورية \ دولة العراق والشام .. الخ). ولا نعلم ماذا بعد ذلك, ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد وصلت الثورة السورية في عامها الثالث, فعلاً إلى مرحلة تفريغها من محتواها الفكري وحرف مسارها عن هدفها الأساسي, ألا وهو اسقاط النظام وانشاء دولة مدنية مُشرّعها الأساسي والأول القانون الذي يسود على الجميع, دولة لا فوارق بين أفرادها ومذاهبها ودياناتها وقومياتها.

ولن نناقش الآن من هو المسبب في وصول الثورة إلى هذه المرحلة, فكل الشعب السوري قد أصبح على قناعة بأن النظام هو كان

وراء كل التهميش الذي تعرضت له الثورة السورية وهو من أوصل فعلياً هؤلاء الجهاديين إلى التحكّم بمسار الثورة... لكن السؤال الآن..؟

بين قذيفتين تزرعان الموت وتحصدان الأرواح... إلى متى سيظل الأمر على ما هو عليه؟

إلى متى ستبقى الألوية الجهادية والمتطرفة تتقاسم ثروات البلاد ودماء العباد مع النظام تحت مُسمّى خط الجبهة الساخن. وإلى متى سيسيرون بالمجتمع نحو اللاتعددية وخلق الأفراد المتشابهين وممارسة الاقصاء على الآخر؟.

شيئان يؤلمان القاتل \ اي قاتل ..
رعشةُ القتيل قبل الغياب إذا ما ذُبح في الشفق
ونكهة الفكرة إذا ما الرصاص مزّق الغسق

منذ فترة ليست بالبعيدة -ضمن المنطقة المحررة- تم انشاء ما يسمى بالمربع الأمني, في مشفى طب العيون, وقد تم تقاسمه بين الألوية الجهادية \الهيئة الشرعية\ لواء التوحيد\ أحرار الشام\ دولة الإسلام في العراق والشام المنشقة عن جبهة النصرة.

وهذا المربع الأمني بالطبع ليس اكثر من مركز للاعتقال والقمع وسجن الناس من الذين يعارضون سياساتهم وآرائهم الفكرية... وبالطبع التبرير الجاهز لهذه الألوية الجهادية: أن الناس لا يطبقون شريعة الله \بحسب زعمهم\ تاركين الجبهات الأساسية والمباشرة ومناطق النزاع خطاً بارداً, دون مشاركتهم بها تحت مسمى \ التكفيرية\ وبتبرير أنهم لا يشاركون كتائب الجيش الحر بالدفاع عن خطوط الجبهات, أو التقدم على مناطق النظام, بالادعاء أنهم لا يشاركون الكفار بالقتال الى جانبهم, تاركين الأمور على ما هي عليه منذ سبعة أشهر. وبالأخص دولة العراق والشام التي اصبح همها الوحيد, إعدام الناس ميدانياً دون محاسبة كما حدث في منبج والرقة والجلوس في مقراتهم بعيداً عن الجبهات وتجميع الأسلحة, ليحكموا الشعب السوري بعد سقوط النظام وأنهاك الكتائب الوطنية المقاتلة للنظام, بالحديد والنار وإعادة دورة الاستبداد القديم بصيغة جديدة, لكنها الأسوأ بكل تأكيد منذ سبعة أشهر ومناطق النزاع الساخنة في مدينة حلب مازالت على ماهي عليه, والمدنيين ليسوا أكثر من كائنات تتعرض يومياً للموت الطائش بين قذيفتين يقول أحد الجهاديين في فتوى لموت المدنيين العزل المقيمين في مناطق النظام :

إن القذائف تنطلق بأذن الله تعالى, وتصيب هدفها بأذن الله تعالى, فإذا ما مات ذاك الأنسان في مناطق النظام وهو معارضٌ مؤمن فقد كتبت له الجنة.. أما أذا كان مؤيداً كافراً, فهوة يستحق الموت وله نار جهنم.

هكذا يبرر الجهاديون وزعماء ألويتهم, أفكارهم وحربهم وموت الأبرياء, دون أي رادع أخلاقي أو ديني حقيقي, وهو بكل تأكيد تبرير لا يختلف عما يقدمه النظام من تبريرات, من أن المدنيين في المناطق المحررة, هم الداعم الأساسي والحامل الشرعي للإرهاب (ينظر النظام) فهم يستحقون الموت. بين قذيفتين أصبحت الثورة, موتاً وجوعاً وتشريد للناس . مازال الشعب السوري يريد اسقاط النظام, وأصبح على قناعة بضرورة اسقاط الاستبداد المقابل.

سورية ليست دولة طائفية. سورية ليست دولة مذهب ودين وأقصاء أخر. سورية دولة قانون مدني.

لذلك ندعو جميع الالوية الجهادية بالتوجه مباشرة للخطوط الامامية والاستشهاد إذا أرادوا في سبيل قناعاتهم الفردوسية.. ودعوا مصائر الشعب للشعب. حالياً يجب على الشعب السوري أن يعي تماماً بأن الثورة المضادة يجب أن تبدأ الأن قبل أن تتسع الهوة بين السماء والأرض وتتحول البلاد الى مركز لحصد الأرواح بيد من يدعون أنهم المدافعون عن الحرية والوطن .

بين قذيفتين..الدين لله والوطن للجميع

القامشلي

تعيش في العتمة وفي ضوء السيّارات المفخّخة

خاص مجلة تواصل

لطالما كانت القامشلي هي واجهة الجزيرة السوريّة ليس في عمرانها ونشاط تجارتها، كونها البوابة الحدوديّة الضخمة مع الجارة تركيّا. وليس في كثرة الفنانيّن والمطربين والكتّاب والرياضيّين الذين خرجوا من رقّة أنفاسها. وليس بسبب توسّطها للجزيرة، ونظرتها الطويلة لقلب الجبال التي تطلّ عليها. بل يكمن السبب الأوّل في طيبة سكانها، وقدرتهم الفائقة على التعايش المبهج

على الرغم من الاختلافات الهائلة بين مكوّنات سكّانها من المسيّحيّين والعرب والأكراد. ولطالما اشتهرت القامشلي بمهارة أبنائها في شتّى المجالات، واستطاعت أن توقف توجّه أبناء الجزيرة إلى حلب ودمشق لتلقي العلاج؛ فلزمن طويل كانت تفتقد الجزيرة السوريّة لأطباء مختصّين مهرة، خاصّة في الاختصاصات الخطيرة، كجراحة القلب والعين والكلية والكبد والجراحة العامة، فصارت القامشلي تجذب أبنائها أصحاب شهادات البورد للبقاء فيها، وفتح عيادات ومشافٍ للعناية بأبناء كلّ الجزيرة. وكذلك فعل أرمن القامشلي في تحدّي أرمن حلب في مهنة تصليح السيارات والشاحنات، فصار مواطنو الحسكة لا يقطعون أكثر من /58/ كيلومتراً، لإصلاح عرباتهم، بدلاً من قطع أكثر من أربعمائة كيلومتر ذهاباً، ومثلها إياباً، كي يصلوا ويعودوا من عناية أرمن حلب ومهارتهم المعروفة عنهم. منذ بداية عام 3102 دخلت الكثير من المنغّصات في حياة أهل القامشلي، وحتى في بنيتها الشخصيّة كمدينة وكعمران. فصارت تلك المدينة تعاني في عزلتها هناك على كتف سوريّا الأيمن. لم تكن سوى مدينة الحسكة، وريفها الفقير، تعيش في العتمة التي نشرها النظام بقطع الكهرباء عنها لفترات طويلة في اليوم، والتي نشرها لصوص النظام من خلال سرقة الكابلات الكهربائيّة، في فترات انقطاع الكهرباء الطويلة، وبيعها كنحاس لتجّار النظام. ثمّ دخلت المدن التابعة لها إداريّاً، مثل القامشلي وعامودا والدرباسيّة ورأس العين... تدريجيّاً في ذلك العقاب المظلم الكبير. ودخل الناس في تلك المدن في خسارات هائلة بسبب الانقطاع الكبير للتيار الكهربائيّ؛ الذي وصل إلى ثلاث وعشرين ساعة في اليوم الواحد. ومرّت فترة كانت تنقطع فيها الكهرباء بشكل متواصل لأيام عديدة. والذي لم يغلق محلّه التجاري، أو معمله أو عيادته أو صيدليّته أو مشفاه أو مطعمه، ويهاجر، قام بشراء المولّدات الكهربائيّة التي تستنزف مال المواطنين بشكل تصاعديّ؛ بسبب ارتفاع أسعار المحروقات، وعدم صفائها، ما يعرّضها لأعطال كبيرة بحاجة لمال إضافيّ. "تشليح" أموال أهالي القامشلي لم يكن عن طريق قطع الكهرباء لساعات طويلة عنهم، لإجبارهم على إيجاد حلول بحسب طاقة كلّ واحد منهم، من الشواحن البدائيّة وصولاً إلى مولّدات الكهرباء الكبيرة والغالية الثمن، والتي تحتاج لمصاريف متواصلة، بل تطوّر الأمر لقطع مياه الشرب أيضاً لأيام متواصلة؛ ثم صار ضخّ المياه الصالحة للشرب متباعداً لأيام طويلة، ممّا أجبر الناس على تركيب خزانات كبيرة للماء على الأسطح، وشراء الماء بأسعار متضاعفة. ثمّ اضطرت الكثير من العائلات، إن لم نقل جميعها، إلى حفر الآبار داخل فسحات بيوتها!!. وفي الأحياء التي تكون أبنيتها كعمارات اشترك سكّان العمارة الواحدة في حفر بئر على الرصيف الخاص بالبناء، أو حتّى في الشارع العام، بعد قلع الإسفلت!!. وعلينا أن نعرف أنّ ثمن حفر البئر الواحد يحتاج لمائة ألف ليرة سوريّة، وماء الآبار هذه لا يستخدمها المواطنون للشرب؛ بل للاستخدامات الأخرى، بينما يواصلون شراء مياه الشرب والطبخ يوميّاً، وبأسعار ترتفع كلّ يوم بشكل جنونيّ؛ حتى وصل سعر اللتر الواحد من المياه المعدنيّة إلى مائة ليرة سوريّة. علينا أن نعرف أنّ فقراء المدينة يشربون من ماء الآبار، التي لا يعرف أحد ما مقدار الشوائب الموجودة فيها. وعلينا أن نخمّن كم من الأمراض، لا سمح الله، ستخرجُ قريباً إلى العلن. مع دوام الحفريات، من أجل الحصول على المياه الصالحة

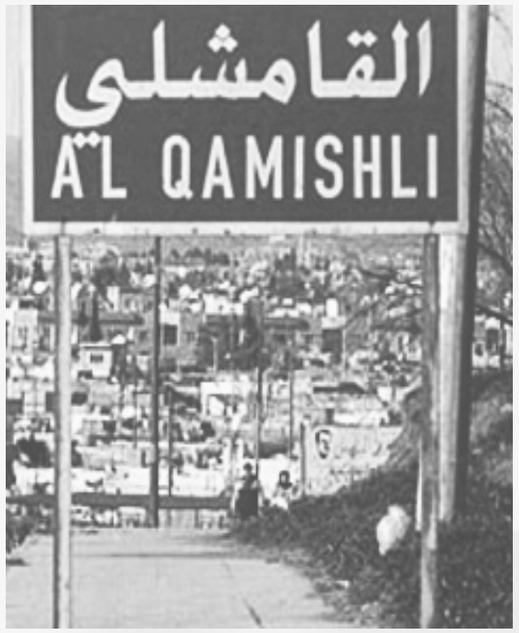

للاستعمال، لم يعد الخطر على صحّة المواطنين، ولا على مدّخراتهم فقط؛ بل وصل الخطر إلى إمكانيّة تهدّم أجزاء من أحياء المدينة؛ بسبب تفريغ المياه الجوفيّة وحركتها الدائمة وجفافها وانزلاق التربة، كما حدث في عدّة مرّات في مدينة رأس العين، وأدّت إلى مقتل العديد من المواطنين. قبل ذلك بأشهر تعرّضت القامشلي، كما باقي مدن محافظة الحسكة، لحصار اقتصاديّ خانق؛ مع إغلاق النقطة الحدوديّة والتجاريّة الوحيدة مع تركيّا، ومن ثمّ إغلاق المعبر الحدوديّ مع إقليم كردستان العراق. وفي النهاية، زاد الحصار أكثر، مع توقّف حركة الشاحنات نهائيّاً بين الحسكة وباقي المحافظات السوريّة. شبكة الاتصالات الخليويّة اختفت من القامشلي لمدّة عامين، حتّى أنّ سكانها لم يعرفوا بعودتها، المفاجئة والمتقطّعة، بعد اعتمادهم على شبكة الاتصالات التركيّة الباهظة الثمن. لم تكن تكفي كلّ هذه الظروف، التي ساهمت في شقاء كبير لمواطني المدينة الجميلة والهانئة، والتي بإمكان استمرار واحد منها أن يحوّلها إلى مدينة منكوبة، ويجعل أهلها يفكّرون بالهجرة طالما تعطّلت أعمالهم، وبدأوا بخسارة مدّخراتهم. كأنّه لم تكن تكفي حتى تعرّضت المدينة لهلع كبير جرّاء تزايد عمليّات الخطف فيها، مترافقة مع الابتزاز المالي الكبير لأهالي المخطوفين لإطلاق سراح أبنائهم. فقد جرت أكثر من عشرة عمليّات خطف، في وضح النهار، لمواطنين أبرياء من مختلف مكوّنات المجتمع، لتأجيج الصراعات داخل المدينة الواحدة، في لفتة سّامة من النظام في عمله الدؤوب لإشعال الفتنة الطائفيّة والعرقيّة في كلّ شبر من هذا البلد الجريح. قبل ذلك بعام تقريباً كان قد تمّ اغتيال السياسيّ والحقوقيّ الكبير مشعل تمو، رئيس حزب المستقبل الكرديّ، على يد النظام السوريّ. ذاك المناضل الذي ظلّ يُنبّه أهالي القامشلي جميعاً من أنّ النظام سيُقدم، لا محالة، على ارتكاب أفظع الأشياء، من أجل تخريب كلّ المناطق السوريّة، وبأنّ على الأهالي أن لا ينجرّوا للمخططات التي يرسمها النظام بدقّة لحرب أهليّة طويلة الأمد. عمليّات الخطف تلك، والسرقات الكثيرة للمحلات والمواطنين، في العتمة الطويلة تلك، زرعت الرعب في كلّ مكان من أحياء المدينة. وجعلتهم يتبرّعون، من جديد، من جيوبهم لشراء مولّدات لإنارة الشوارع، بينما بقيت الحكومة تفكّر في حلول أخرى لجرّ الناس نحو الحرب الأهليّة.

وجاء الحلّ سريعاً؛ بإعطاء الضوء الأخضر لحزب الاتحاد الديمقراطي، الكرديّ، لتنفيذ برنامجه في مشروع الإدارة الذاتيّة للمناطق ذات الأغلبيّة الكرديّة. ليأتي الردّ سريعاً من الكتائب السلفيّة الجهاديّة، وخاصة من قيادة دولة الإسلام في العراق والشام (داعش)، بإعلانها النفير العام ضد ذلك الحزب، وخاصّة في مدينة القامشلي، ومن بعدها في منطقتي عفرين وكوباني شماليّ حلب، ولتكون المعارك تلك عبارة عن إرسال السيّارات المفخّخة لتنفجر هناك. لتخرج القامشلي من عتمة النظام، لتدخل في ضوء العمليّات الانتحاريّة!!. أكثر من خمس عمليات تفجير بالسيّارات المفخّخة جرت في مدينة القامشلي، منذ تشرين الأوّل الفائت، موقعة عشرات القتلى والجرحى في صفوف مقاتلي حزب الاتحاد الديمقراطي والمواطنين الأبرياء، ومدمّرة العشرات من المحال التجاريّة والبيوت، ورافعة معاناة مواطني مدينة القامشلي إلى سقف من غير المعروف علوّه، ونتائجه، لحدّ الآن. عشرات آلاف الأشخاص نزحوا من القامشلي، وقراها، بسبب الضنك الذي كانت تعيشه، والذي وصل لدرجة إذلال المواطنين في كرامتهم وأرزاقهم، ومن ثمّ هاجر ونزح آلاف آخرون بسبب سيف القتل الذي يتجوّل بلا هوادة، وبلا تمييز، في كلّ مكان.

الأطباء الشرفاء...

عارف حمزة

حتى قبل أن يتم تحويل الثورة السلميّة في سوريّة إلى ثورة مسلحّة، كان لا بدّ من وجود أطباء للعناية بالمتظاهرين السلميّين الذين تعرّضوا لاعتداءات الشبّيحة عليهم بالضرب المبرّح، قبل أن يتدخّل الأمن بالاعتداء عليهم بالرصاص الحيّ. ففي المظاهرات الأولى كان يتمّ الاعتداء على المتظاهرين من شبّيحة مأجورين من قبل النظام ومن قبل رجال الأعمال، الذين أثروا من خلال عمليّات تبييّض أموال رموز معيّنة في السلطة، أو بسبب الفساد المتراكم من قبلها. فكانوا يُحيطون بأولئك المتظاهرين ويقومون بتفريقهم بالهراوات والسكاكين. وكان على رفاقهم أخذهم إلى البيوت ليتمّ علاجهم من خلال أصدقائهم طلاب الطب والتمريض، أو من خلال ذوي رفاقهم المتخصّصين في الإسعافات الجراحيّة. ومهما كانت إصابة ذلك المتظاهر خطيرة لم يكن من الممكن إسعافه إلى المشافي الحكوميّة أو الخاصة؛ التي كانت تتصل إداراتها بالأمن ليأتوا ويعتقلوا ذلك المصاب، ويكملون حفلة التعذيب تلك، رغم جراحه ودمائه، في أقبية لا رحمة فيها ولا إنسانيّة. في حلب، مثلاً، كان يتطوّع الملاكمون المتدرّبون في المركز التدريبيّ الخاص بالملاكم الآسيويّ محمد غياث طيفور، للاعتداء على المتظاهرين في الشوارع، وحتى في داخل مدرّجات الدراسة في كليّات جامعة حلب، كي يخنقوا الحراك الثوريّ هناك. وتمّ اغتيال ذاك الملاكم في حادثة مشهورة من قبل الجيش الحرّ، كتهديد مباشر لطلابه في المركز التدريبي، ولآل بري الذين أسرفوا في الاعتداءات على المتظاهرين وأهاليهم، ليلاقوا مصيراً دمويّاً في حادثة مشهورة أيضاً ومرعبة. وهذا بالضبط ما حصل في المظاهرات الأولى التي خرجت في كافّة المدن السوريّة، كي يبدو الأمر وكأنّ الأهالي هم التي يعتدون على أبنائهم طواعية، كي يُعيدوهم إلى جادة الصواب، وإلى حظيرة النظام، وبأنّ رجال الأمن وقوى الأمن الداخليّ كانت تفضّ تلك المشاجرات بين الأهالي ليس إلا. الكثير من الأطباء، وهذا الكلام ينطبق على مساعديهم في التخدير وطلاب الطب وطلاب التمريض والمتطوّعون معهم، كانوا شجعاناً في اتخاذ موقفهم الإنسانيّ الطبيعيّ في الوقوف إلى جانب جرحى المظاهرات، فقدّموا خدماتهم للجميع بشكل احترافيّ ومجّاني سواء في عياداتهم الشخصيّة، أو في المشافي التي يملكونها أو يعملون فيها، أو في بيوتهم، أو في الشوارع الجانبيّة التي كان يهرب إليها المتظاهرون، عندما يبدأ الأمن بالاعتداء عليهم بشكل وحشيّ. ثمّ اضطروا إلى إنشاء مشافٍ ميدانيّة بسيطة، قد لا تتوافر فيها أدنى المعايير المتفق عليها للقيام بعملهم الطبيّ. عندما بدأ النظام باجتياح المدن والقرى بحجة القضاء على الإرهابيّين، كوصف حكوميّ للمطالبين بالحريّة والعدالة. تلك المشافي الميدانيّة عاشت جدرانها أصعب الأوقات، وأصعب الأنفاس، وأصعب العمليّات أيضاً... فما بالك بالجرحى والأطباء والممرضين الذين كانوا يداومون في بعض الأحيان لأيام متواصلة، من دون راحة أو نوم، وبالاعتماد على طعام وشراب بسيطين. وكثير من الأطباء كانوا يجرون عملياتهم داخل المشفى الميدانيّ، ثم يُكملون العمليّات في البيوت والشوارع، عندما كان يتمّ قصف تلك المشافي الميدانيّة فجأة بالمدفعيّة والطائرات. وهناك عدّة حالات لمسناها شخصيّاً، تمّ فيها إخراج رصاصات وزرع الأسياخ في القدمين أو اليدين، أكملها الأطباء في أماكن أخرى، بعد نقل الجرحى بسرعة من داخل غرف العمليّات البسيطة بسبب القصف المفاجئ، وكانت نتيجة العمل الجراحيّ ممتازة. ولكن هناك الكثير من الأطباء الذين لاقوا حتفهم، بانهيار مبنى المشفى الميدانيّ فوق رؤوسهم وجرحاهم ومساعديهم وأهاليهم، بسبب القصف المفاجئ على ذلك المشفى. الطبيب الذي اتخذ قراره بمساعدة الجرحى، وإعطاء خدماته لمن تعرّض لذلك العنف الهائل من آلة القمع الوحشيّة، كان يعلم بأنّه ما عاد بإمكانه أن يعمل في عيادته الشخصيّة لمدة طويلة قادمة، أو حتى أن تبقى عائلته بأمان في المدينة التي يعمل فيها؛ فبمجرّد أن تصل المعلومات إلى أجهزة الأمن حول طبيب ما، قدّم خدماته لجرحى المظاهرات، ثمّ جرحى العمليّات العسكريّة، كان يؤدّي ذلك إلى هجوم الأمن على عيادته وسحله أمام الجميع حتّى يركب السيّارة التي ستأخذه إلى المجهول الدمويّ. وإذا لم يكن موجوداً في وقت المداهمة، لحسن حظّه بالطبع، فلم تكن الدوريّة تعود خالية الوفاض؛ بل كانت تقوم بنهب المعدّات الطبيّة الموجودة في العيادة، وكذلك الأثاث، وتقوم بالدعس على شهادات الطبيب بعد تكسير

إطاراتها على الأرض. وكانوا في بعض الحالات يقومون بحرق العيادة نفسها، كتفريغ لشحناتهم الوحشيّة التي نمت وزادت طوال الطريق الواصلة بين فرع الأمن وعيادة الطبيب!!. في حالات كثيرة كان يقوم رجال الأمن بالبحث عن زوجة الطبيب وأولاده لاعتقالهم كوسيلة ضغط عليه كي يقوم بتسليم نفسه للفرع الأمنيّ المذكور. فكان على الطبيب وضع عائلته في مكان آمن، وغير معروف للجهات الأمنيّة، إذا كان يُريد أن يمارس عمله من دون أن تتعرّض عائلته للخطر المحدق. ففروع الأمن لا تكترث لا لزوجته ولا لأولاده، مهما كانت أعمارهم، عندما تكون ذئابهم قد طُلب منها المجيء بفريسة معيّنة!!. الأطباء العازبون كانت حالتهم سيئة أيضاً؛ فقد تمّ الاعتداء على الكثير من آبائهم وأمهاتهم، وفصل إخوتهم وأخواتهم من الوظائف، بسبب عملهم الإنسانيّ بتقديم الاسعافات لمواطن من مواطنيّ بلده، وليس لأحد أفراد الجيش الإسرائيليّ على سبيل المثال. ليس بسبب قسمهم في تقديم المساعدة الطبيّة لكلّ من يحتاج إليها فحسب، بل كذلك بسبب ضميرهم الحيّ في الوقوف إلى جانب الجريح والمقبل على الموت بسبب مناداته بالحريّة والعدالة. طلاب الطب تعرّضوا للاعتقال والضرب المهين في الشوارع وساحات الجامعة وفي داخل كلّياتهم. وكثير منهم تمّ فصله بناء على توجيهات أمنيّة بحتة؛ من دون التحقيق معهم وسماع أقوالهم، ومن دون مخالفتهم لقوانين الجامعة، ومن دون أن يكون لهم الحق في الطعن بذلك القرار التعسفيّ، أمام الجهة التي حدّدها القانون. ذلك القرار الذي قضى على آمالهم في أن يكونوا أطباء في المستقبل، كنهاية مأمولة لجهدهم ودراستهم طوال سنوات الدراسة الطويلة. ولكن ذلك الفصل لا يُقارن بالقرار الذي اتخذه في قرارة نفسه بأن يكون إنساناً قبل كلّ شيء، ويقدّم المساعدة لمن قد لا يستطيع متابعة العيش من دون مساعدته. ذلك القرار الشخصيّ الشجاع الذي قد يودي بحياته في أيّة لحظة خلال عمله الإنسانيّ الاعتياديّ. هؤلاء هم الشرفاء. سيقول الكثير من الناس. ومعهم حق. وسيقولون عن الأطباء الذين هربوا من البلاد، آخذين معهم عائلاتهم وأموالهم، وصفاً غير لائق أبداً، وهذا ما يحتاج لتفصيل كبير لا يسع المجال لشرحه هنا. ولكن، كي نكون إنسانيّين أيضاً وغير ظالمين ومتسرّعين في إطلاق الأحكام، علينا أن نلمّ بكل حالة من حالات هروب طبيب ما إلى خارج البلاد إلماماً كاملاً. إذ الناس ليسوا متساوين لا في الشجاعة، ولا في القرارات الصحيحة، ولا في المواقف، ولا في رباطة الجأش، ولا في فهم معنى قسم أبي قراط، ولا في تحمّل أساليب الآلة القمعيّة والوحشيّة لهذا النظام الديكتاتوريّ. أطباء كثيرون لا بدّ أن يُعيد الزمن لهم اعتبارهم مهما طال الزمن. رغم أنّهم لم يهتمّوا بذلك أولاً، كي يهتمّوا بذلك في النهاية. ولا بدّ أن نعرف أماكن دفنهم الغامضة بعد قتلهم تحت التعذيب في أقبية الأمن. كي تذهب عائلاتهم إلى هناك وتروي ظمأه بالنظرات الجديدة للحياة الجديدة. أطباء كثيرون ما عادوا بيننا كي يعرفوا كم عاش من بعدهم جرحى قاموا بعلاجهم تحت الخطر، وعلى حساب حياتهم هم.

يوميات سلماويّة 1

عناة ابنة السلميّة

فيروز وستة عشر راكباً محشوون في حافلة واحدة، في زمن البرد وفي زمن الحر الصحراوي الذي يلف المنطقة الجاثمة على كتف الصحراء، تلك الحافلة التي أكلت منها الطريق عجلاتها.. الأنظار كلها باتجاه الخارج: أشجار على الجانبين تحجبها للحظات قطعان الغنم الهاربة عن الطريق العام، مشاهد مثالية لتترك الحداثة خلفك للحظات ويأخذك الشرود إلى رائحة الأرض..

تصل مدرسة تعبق بطلابٍ أوائل يكرّمون سنوياً، ومدير يتلقفك بابتسامة ورغيف الخبز الطازج. ذات الحافلة وذات الركاب، فيروز خرساء، تنصت السمع معنا لأصوات طلقات تتهادى بعيدة تخبرنا عن مكانها غيوم الدخان القريبة كي تُرى. وسيارات نقل تحمل الناس والأثاث بعكسنا نحو المدينة القريبة التي تركناها نحن للتو، أملاً بأمان مفقود. الرؤوس كلها مخطوفةٌ للأسفل قاب قوسين من الأحذية خوفاً من قذيفة هاون طازجة أو طلقة غادرة، تلك الرؤوس لا تُرفع إلا عند حواجز يفصلها

خطواتٌ وحسب، ترفعُ لتعزّف عن نفسها أمام نظراتِ الشبهة المذلّة، لا ترى أثراً للراعي ولا خرافه، لا شيء غير الرعية.. باب المدرسةٍ أخيراً، ومسافة كنا نتجاوزها بدقائق صارت ساعةً كاملة من الخوف تجاوزتها أخيراً، باب المدرسة خاوٍ، الطلاب مختبئون في صفوفهم، تركض للداخل بسرعة، تقفز عن حفر خلفتها براميل وقذائف هاون في الباحة، المدير شاحب، لا لون في وجهه ولا رائحة للخبز الطازج من حوله، ولكن الابتسامة ما زالت يلفّها البرود. ذات الحافلة وذات الركاب، لا أثر لهم على ذاك الطريق، ماتت الحياة على الجانبين، كما ماتت في القرية، لا أحد سوى ذاك المدير يطمئن على ماضيه العالق في الزوايا، وفي ذاكرتك بموسوعته الشاملة عن الأدب والأخلاق والسياسة والدين، وذاك الاعتدال بين ما هو كوني وما هو شرعي، والذي يفقده الكثير من المتثاقفين المدنيين من حولنا. طلقةٌ غريبة أصابتك وأصابت الكلّ حين أصابته في الرأس، القاتل لم يسأله عن المعري او أبو النواس أو موقفه السياسي أو حتى الرسول ومريديه. كان كل ما يهمه أن يأخذ ما لديه من مال ورؤوس غنم، وحين حاول ذاك الستيني أن يمرر من خلال ابتسامته التي لا تخاف أن يقول بأنها حصاد عمره وأنه ليس عدواً، الطلقة وحدها تلك التي اخترقت الرأس، كانت كافية لتجعل الفم جافاً من معالمه. أيتها اليد التي انتعلت تلك البندقية: قد تكوني داعشيةً ما، أو جبهويةً لنصرةٍ ما، أو مواليةً لقائد ما، أو حتى تعفشويةً حداثوية، فكل شيء صار احتمالاً، إنما الأكيد الوحيد أنه بأيدٍ كهذه تقتل سوريا الآن دون أن تُسأل عن هويتها. والأكيد الآخر أن هذه ليست قصة ابتدعها تلاقح الواقع بالخيال، إنها الواقع الحاف لقرية من قرى مدينة السلمية

من حكايانا الحومصية
العَرصَة.. وخبز النظام

كريم الحمصي

الشمس تنشر أجنحتها في الأفق, ورائحة بساتين الوعر وما تبقى من ماء نهر العاصي تضج في شوارعها المقفرة, شوارع يتيمة ومتعبة لأحد فيها إلا بعض المارة الذين يجدُّون السير نحو دكان معتمد بيع الخبز, متلفتين خفافاً خشية قناص يتربص بهم. نسمات الوعر الباردة الصباحية الآتية من البحر مارة بالجبال الندية مروراً بوادي النضارة تملأ الصدر المتعب, وفي البعيد تسمع رشقات مدفعية وهاون. أمام دكان معتمد بيع الخبز وقف الناس بالدور ملتصقين بالحائط, وبعضهم اتكأ على سيارة مفخخة انفجرت منذ أيام في آخر شارع الفردوس قريباً من الغابة, وأخذ يتأمل مافعلته النار بالحديد. وصمت جليل في حضرة ربطة الخبز المشتهاة. وأمام دكان من صفيح وقفت سيارة سكودا مغلقة... - 68, 69, 70 كان سائق البيك آب السكودا يرشق ربطات الخبز ويعدّها لصاحب الدكان رافعاً صوته الأجش, من خلال شفتين سميكتين تقبضان على سيجارة حمراء طويلة كادت أن تنطفيء. وكانت عيون ورؤوس الواقفين بالدور تتحرك باتجاه الخبز المرشوق بين السائق وبائع الخبز. - لك ياعميشو جاي ع بالك تصير شهيد من الصبح؟! قرّب هيك ع الحيط. صاح أحدهم بوجه جاره الذي يقف أمامه في طابور الخبز, ودفعه دفعاً خفيفاً باتجاه الحائط. لم يكن حائطاً من طين أو اسمنت كما هو متعارف عليه, بل جدار من صفيح لدكاكين مجاورة لم تفتح أبوابها بعد

. - شو مانك شايف القنَّاص ياعمي؟! صاح رجل وقور يلبس بيجامة رياضية عتيقة. - لا والله ماني شايفو. رد العجوز الذي اشتعل رأسه شيباً. - هاهاهاه.. إذا مانك شايفو, هو شايفك. علَّق شاب أسمر بعينين صغيرتين ومنكبين عريضين. - 98, 09, 19 . توقف السائق عن العد وبعد أن حاول أن يطرد البلغم من قصباته ورئتيه وجه حديثه للحاضرين:- 04 سنة وأنا أدخن. ورمى ماتبقى من اللفافة بعد أن مجَّها مرات ومرات دون فائدة. ضحك الحاضرون, وعلَّقوا على الحدث باعتبار أن السائق الآن هو رجل مهم بالنسبة لهم. - إي بطِّل الدخان. نصحه رجل أصلع -: ليش بيقدر؟! هاد الدخان سوسة. علَّق رجل سمين. - :وانتصب السائق وأخذ يمسح عرق وجهه بكم قميصه. - شو؟!! بس 100 ربطة؟! كل نهار تعطيني 300 ربطة, ليش نقّصتهم خير؟!. قال صاحب الدكان مستغرباً توقف السائق عن عدِّ ربطات خبز إضافية. - هيك. ارتفع الصوت الأجش وأردف - مافي خبز. شو مانك هون؟ الناس كلها عم تخزِّن خبز, خايفين من الضربة العسكرية الأمريكية . والتفت إلى جمهور الدور الواجم - لاتخافوا أخواتي لاتخافوا, مابيصيرشي إلا اللي كاتبو الله. ونزل بسرعة وقاد سيارته بعيداً وسط ذهول وانكسار الجميع, فهذا يعني أنه لايحق للواقف في الدور إلا أن يتحصَّل على ربطة خبز واحدة, والأكثر قلقاً كان أولئك الذين يقفون في آخر الدور, فمن الممكن جداً أن يعودوا أدراجهم خائبين وينفد الخبز. - يلاياشباب بالدور, برا الدور مابعطي فتفوتة خبز, عم تفهموا عليي ولا كرر. - فهمنا. - خلِّصنا. - لاحول ولاقوة إلا بالله. تناثرت الهمهمات والتعليقات. في الطرف الآخر من الدور وقفت ثلاث نساء من الغجر الذين يسكنون خيامهم على أطراف حي الوعر, وعلى بعد أمتار منهنَّ وقف حميرهن بانتظار الغجريات الثلاث. - بدي خمس ربطات. قالت أجملهن وأكثرهن شباباً بعد أن دفعنها إلى البائع لتكون أول من تطلب الخبز من البائع, ورغم ابتسامتها الجميلة, وبعض الدلع الذي وهبته لبائع الخبز صرخ هذا الأخير بوجهها غاضباً - خمسة بعيونك وعيون الشيطان, يفضح حريشك شو أنت عمياء؟! وأشار إلى الدور الطويل وأردف يسألها - لك وين بدي روح بهالأمة؟! اسمعوا ياعالمياهوه ربطة واحدة لكل مواطن. - ليش بقي شي مواطن؟! قال مواطن قال هاهاهاه.. علّق الشاب الأسمر القصير, صاحب العينين الصغيرتين والمنكبين العريضين, ضاحكاً وباحثاً عن تأييد لفكرته بين الحاضرين. بدأ البائع بتوزيع الخبز كما قرر وبدأ الدور يتناقص بطيئاً, وأحياناً يتوقف بسبب أن أحدهم يجادل كي يحصل على ربطتين أو أكثر. - هوهوه.. خلصونا. صاح الرجل الوقور. - ولك أخي شبكون, الأزمة كلها يومين أو ثلاثة, بس خلصت الضربة الأمريكية منرجع أحسن من الأول, ومناخد خبز على كيُّوف كيُّوفنا. علّق رجل نحيل بعينين سوداوين ناريتين وشفتين غامقتين. - يعني الضربة, فركة الأذن, راح توقّف بعد يومين؟. سأل رجل أبيض يشبه الثعلب بلا مكر. - احتملنا كل هاالقصف والقنص والكيماوي سنتين, ماعاد نتحمّل يومين ضرب بصواريخ الكروز؟ وعلى مين الضرب؟ ماعلينا, ع النظام. شرح لهم الرجل النحيل. - بس الخبز شغل النظام, الأفران أفران النظام. ردّ الرجل الذئب. غاضباً ومعاتباً أخذ الرجل النحيل يذكّر الرجل الثعلب والآخرين. - لك شبك يازلمة نسيت؟ قطعوا عنَّا الكهرباء خمسطعش يوم متواصلة. ماانقطع الهاتف ببيوتنا من عشر شهور ولهلّق مقطوع؟. بدّي اسألك: مانّا مقطوعين من البنزين والمازوت؟ ماقطعوا عنا الخضرة والفواكه والخبز عشرة أيام قبلها؟ ماعاد نعرف نصبر يومين تلاتةخيُّو؟! - هاي الحرية اللي بدكن اياها. سخر الرجل الأبيض الذئب غير الماكر. انفجر الرجل النحيل مرة واحدة واندفع بسرعة البرق نحو الرجل الذئب - والله ل..... أختك على أخت النظام, ياأخو الشر.... شو أنت مخبر؟ - والله ماني مخبر. بكون عرصة على مرتي إذا كنت مخبر. ردَّ الرجل الذئب وهو يمسح الدم المتدفق من فمه إثر لكمة الرجل النحيل المباغتة. تدخل الأوادم لفض الاشتباك, وتخليص الرجل الذئب من يدي الرجل النحيل الذي يحكم الخناق عليه, بينما البائع يتأمل المشهد مادأً رأسه من دكانه, وإذ شعر البائع أن أهميته انتقصت وأنه لم يعد في بؤرة الحدث, صرخ بحنق - لك شومابدكن خبز؟! تعالوا كل واحد ياخدربطتو ويفرق ط.... ردّ الرجل النحيل - أنت كول هوا , بدنا نشوف هاالعرصة اللي مفكر أنو راح نموت من الجوع بدون خبز النظام. حمص. صورة طبق الأصل

صرخة ثائر...

يارا حسين

لم أتصور في يوم أن أكون ثائراً، ولا أن أكتب عن تجربتي في دفتر ملاحظاتي، ولا حتى في مجلة حائط؛ أعرف أن ما فعلناه حين صرخنا للمرة الأولى مطالبين بحرية لم نعتدها ولم نعشها في يوم من الأيام طيلة حياتنا، كان ثورة حقيقية؛ ثورة على الصمت وعلى الخوف وعلى الاعتياد على السائد وكأنه قدر إلهي لا مناص منه. وُلِدت بعد الحركة التصحيحة بأربعة عشر عاماً، فتحت عيني على الدنيا وفيها شخص واحد أحد هو الأول في كل شيء، لم يربكني هذا الشيء ولم يشعل فيّ حتى فضول السؤال: استقبلتنا منظمة الطلائع لتغرس فينا قيم وتعاليم هذا الواحد، عن طريق التصفيق حيناً وعن طريق الأغاني التي تمجد الرمز غالب الأحيان؛ سلمتنا هذه المنظمة إلى أختها الكبرى شبيبة الثورة التي بدأت تعلمنا بما لا يقبل الشك أننا ثوار، شباب ثوار نمشي على خطى قائد ثائر؛ لم نكن نعرف أن للاثنتين أختاً ثالثة تكبرهما تسمى اتحاد الطلبة، ومعها يجب أن نتعلم كيف نكون جنداً أوفياء للقائد الذي كان في حينه قد أصبح خالداً، ووَرَّثنا، بحكم أنه قائد، إلى ابن له صار بين ليلة وضحاها ملهم الشباب وفارس الأمة وقائد مسيرة التطوير والتحديث. هكذا، ودون أن نحلل أو نتساءل، انتقلت ملكية حلمنا من قائد خالد إلى قائد شاب، وتمت الصفقة بأقل الخسائر، وتكفلت منظمة اتحاد الطلبة أن تكون رفيقة درب هذا القائد الشاب، فكان ما كان منها من تكريس لصورته ملهماً وصديقاً لجيل الجامعيين؛ ربما صدّقنا حينها، وربما اندمجنا بالحالة، وربما لا مبالاتنا جعلتنا نتأكد أن هذا هو القدر، وأن الخيرة فيما اختار الله والقائد. في الجامعة تعرفت إلى الكثير من الشباب والصبايا من مشارب مختلفة واهتمامات متنوعة ومدن وبلدات ما سمعت بها من قبل؛ تعرفت على من كان يقول همساً: لقد طفح الكيل، إلى متى سنبقى أسرى حزب البعث؟ أو من يقول: هل هو غير الجبن ومصالح الحكام من أبقى فلسطين والقدس أسيرة إسرائيل لما يقارب الستين عاماً؟.. لا أنكر

هزتني بقوة هذه الأسئلة وغيرها، وفي بدايات عام 2002 ودون أن أدري، وجدت نفسي فاعلاً وناشطاً بين مجموعة من الشباب الجامعيين يقيمون الاعتصامات والفعاليات المختلفة في الجامعة، بعيداً عن سطوة اتحاد الطلبة أو فرع الجامعة لحزب البعث؛ أسمينا نشاطاتنا حينها «صرخة ثائر»، وبعد أن تعاظم دورنا وكبر عددنا ونجح اعتصامنا المفتوح في ساحة كلية الطب ولمدة خمسة عشر يوماً، والذي تم فضه بالقوة والضرب والتشبيح من قبل أشاوس البعثيين حينها، وبعد الاعتصام المفتوح ضد المرسوم الجمهوري الذي قضى بإلغاء الالتزام بتوظيف الخريجين من كليات الهندسة في مؤسسات الدولة، والذي ضربنا فيه وسحلنا في ساحة الجامعة، والذي على إثره تم اعتقال بعضنا، وفُصِلَ بعضنا الآخر، بتنا نتعامل بحذر أكبر وربما بخوف أكبر، لكن الجذوة كانت قد اشتعلت والرغبة بالتغيير صارت همنا، وصار حلمنا بسورية جديدة وديمقراطية رفيقنا الدائم. حين اعتقل النظام مجموعة من المثقفين في حلب بتهمة القيام بنشاط ثقافي غير مرخص، وأحالهم إلى المحكمة العسكرية، أذكر كيف تنادينا ذات المجموعة لاعتصام أمام هذه المحكمة قبل بدء المحاكمة، وكيف سهرنا طوال الليل ونحن نختار العبارات المناسبة، وكيف سنكتبها على الورق المقوى، وكيف سنواجه الأمر لو هاجمنا رجال الأمن؛ صرنا نسافر إلى حمص للمشاركة في اعتصام في جامعتها، ونسافر إلى دمشق لنعتصم مع المطالبين بإصلاحات ديمقراطية، وإلغاء قانون الطوارئ، أو لنحضر ندوة في منتدى جمال الأتاسي، الذي كان النظام حينها قد فرض حظراً على نشاطه، بعد فترة سماح قصيرة، أذكر أننا أسميناها «ربيع دمشق»، إلى أن هاجمنا الأمن ذات مرة في دمشق، في أحد اعتصامات ربيعها؛ ضرب من ضرب، واعتقل من اعتقل، وكان من بينهم ثلاثة من شبابنا، أفرج عن اثنين منهما بعد أسبوع، واحتفظ بالثالث، وكان محمد عرب، ما يقارب السنة. أذكر خفّ حماسنا، ربما خفنا، ربما فرقت الأيام فيما بيننا، كان النظام ممثلاً برئيسه الشاب، قد كشّر عن أنيابه، وتراجع عن وعوده بالإصلاح والديمقراطية، وعاد ليفعّل مؤسسته الأمنية من جديد، بشراسة أكثر، وقمع متزايد. صرنا نلتقي بفترات متباعدة، عدنا للهمس من جديد، عادت عيوننا لتفحص المكان قبل اي حديث أو كلمة؛ وشيئاً فشيئاً عادت الرتابة من جديد إلى حياتنا؛ تخرجنا من الجامعة، صار البحث عن عمل نبدأ به مستقبلنا يكسر ظهرنا ويستهلك أحلامنا؛ تزوج من تزوج، وسافر من سافر، وتغيّر من تغيّر منا، وعدنا لنتعامل مع الهم بصيغته الفردية ونسينا أو ربما أجلنا الخوض بالشأن العام والوطني، وسرقتنا الحياة وهمومها، واندفعنا نحو تأمين مستقبل فردي، يضمن لنا جزءً يسيراً من أحلامنا. إلى أن جاء البوعزيزي ليحرق جسده، اعتراضاً على الأوضاع في تونس، ومن بعدها الثورة التونسية، التي أسقطت أول حاكم عربي وبعدها الثورة المصرية التي أسقطت طاغيتها بثورة شعبية عارمة وكانت مواقع التواصل الاجتماعي قد صارت في متناول حياتنا اليومية ولا أعرف إن كانت صدفة، أو أننا فتشنا على بعضنا، إلا أننا تلاقينا من جديد، وعدنا، أو بالأحرى بعضنا، عاد للتلاقي والتحاور، وحرّك فينا الحلم بسورية جديدة من جديد. أذكر كيف كان قرارنا وبلا تردد، ولا طول تفكير، أن تقوم مظاهرة في حلب، وبدأنا نحسب عددنا، ونحاول اختيار الجامع الأفضل لنخرج منه؛ جامع يضمن لنا سلامتنا من جهة، ومشاركة الناس من جهة أخرى؛ وأذكر في يوم من آذار خرجنا من جامع بلال، لم نكن أكثر من عشرة يومها، ولم يشاركنا من مصلي الجمعة أكثر من عشرة أيضاً؛ لم يهاجمنا الأهالي يومها، لم تكن قطعان الشبيحة قد فرّخت حينها، كانت الدهشة هي المسيطرة على الجميع؛ حتى الأمن لم يصل سريعاً، أذكر أننا كبّرنا وهتفنا لدرعا، وللحرية، وللحلم بسوريا جديدة، وعدنا إلى بيوتنا. صرنا نلتقي يومياً، نخطط، نفكر، ننفذ حيناً، ونفشل حيناً. بعد سنتين ونصف من الثورة، استشهد من استشهد من الأصدقاء واعتقل من اعتقل، وصار عسكرياً من صار، وباع من باع؛ وما زال الحلم مستمراً.

حنين

فوتوغراف من سوريا ... بعدسة : جورج شهدا

تحقيق

إعلام الثورة..
هل نرميه بحجر؟!.

عدنان عبدالرزاق

قدمت الثورة السورية صورة جديدة للإعلام وطرائق مبتكرة للتعاطي مع الأحداث ونقلها على نحوٍ، ربما.. لم تعرفه مهنة المتاعب من ذي قبل، فظهور الناشط الإعلامي وما كشفه منذ بدايات الثورة، أعطى إضافة جديدة لم تعرفها الوسائل الإعلامية ، وأعني: النقل المباشر بأدوات بسيطة من قلب الحدث، ما سرّع في كشف سلوكيات النظام الذي آثر منذ البداية، إقصاء التلفزات ووكالات الأنباء ليقتل شعبه سراً وعلى مهل. ولكن أليس من آثار سلبية لتلك الحالة، إن على مستوى «تشويه الثورة» أو حتى استسهال المهنة وإقصاء أولاد الكار، والذين انشقوا أو رفضوا الاستمرار في مؤسسات النظام على وجه الخصوص.

صحافة الثورة

الإعلامي والباحث عمر كوش:

رأى بأن الأمر يحتاج إلى تدقيق، فمصطلح صحافة الثورة بحاجة إلى النظر في دقته، وحقيقة تمثيله. وهو مصطلح إجرائي أكثر منه واقعي. صحيح أن هناك صحفاً ووسائل إعلام، داخل سوريا وخارجها، تنتمي إلى مؤسسات تقول أنها تدعم الثورة، لكنها مختلفة في التأثير والتمثيل والفاعلية والدور. وبالنسبة إلى ما يكتب عن الثورة السورية، فهو ينقسم إلى عدة أقسام: قسم لا يخدمها، بل.. و يُسِيءُ إليها، وقسم آخر.. يدافع عنها ويطرح إشكالياتها وقضاياها، بل.. ويُوجّه النقد إلى أخطائها وانعراجاتها. في حين قال الصحافي أحمد حسن ل"تواصل": إن صحافة المواطن كانت نقلة نوعية في عصر الثورات , لكن هذه النقلة لم تكن مفيدة الا من حيث سرعة نقل الخبر لحظة حدوثه وكذلك ايصال صوت المهمشين لاصحاب القرار العالمي والدولي .. اما في باقي اهداف الثورة فقد كان هذا الاعلام - الدكاني - احد اسباب زيادة العنف والاحتقان الدموي بين مكونات شعب الثورة , حيث انه لم يكن اعلاما مهنيا فلم يكن هذا الاعلام يعرف ماذا يعرض ولا كيف يعرض , لذلك كان التعامل السيء مع الدماء وبطريقة لا يقرها اي ميثاق في العالم , سواء في اعلام النظام ام اعلام الثورة حيث لم يراعي هذا الاعلام لا مشاعر الضحايا ولا اخلاق المهنة ولا ابعاد تأثير الصورة سواء على الشعب او على الاطفال او الشباب او حتى المشاهد البعيد عن الحدث

الصحفي جودت حسون:

نسب خلال حديثه ل"تواصل" شيئا من أخطاء النشطاء للوسائل الإعلامية: ظاهرة "الصحفي المواطن" الذي يكتفي بامتلاك جوال بكاميرا ذات جودة مقبولة لنقل الصورة من أرض الميدان، وهو أمر يحتاج شجاعة استثنائية في ظل هكذا ظروف، لذلك كانت جوالات الهواة وكاميراتهم البدائية فيما بعد مصادر الأخبار العاجلة التي صارت أهم بضاعة تصدرها

سوريا على مدى سنتين ونصف! وكان التصاق الناشط الإعلاميّ "الصحفي المواطن" يُغطي على كل الهنات التي تعتور تقاريره وصوره لأنه بكل بساطة ظلّ المصدر الوحيد الممكن لا سيما في البدايات. ولكن تفاقم ظاهرة النشطاء والصحفيين المواطنين فيما بعد أفرز مشكلة شبيهة بما حدث مع الكتائب التي تخضع لمن يمولها، ولا تخفى خطورة ذلك خاصة بعد معالجة القناة للمادة الخام بالطريقة التي تخدم بدورها سياسة مموليها، وليس أهداف الثورة.

الصحفي فؤاد عبد العزيز:

قال لـ "تواصل": هناك الكثير من الصحفيين المتميزين الذين يعملون في صحافة الثورة ولكن بسبب غياب المؤسسة فإن جهدهم في أغلبه مشتت .. واعتقد بان المشكلة الاساسية التي يعانيها اعلام الثورة هو عدم وجود مؤسسة كبيرة ذات توجهات واضحة تحتضن جهود هؤلاء الصحفيين وتوجهها بما يخدم القضية والحدث، وقد لعب اعلام الثورة دورا ايجابيا ومهما عندما كان المطلوب منه التوثيق لجرائم النظام بعد عقود من الحصار الاعلامي والتعتيم الذي كانت تعيشه سوريه في عهد الاسدين .. وعندما كنا نعمل في مؤسسات النظام الصحفية كان اكثر ما يؤرقهم هو هذه الصور التي كانت تنقل عبر الهواتف النقالة وتفضح إجرامهم ، لذلك كان جلّ جهد الاعلام الرسمي في البداية منصباً على تفنيد صور الناشطين وإظهار العكس ... الى هذه المرحلة يمكن القول ان إعلام الثورة قد حقق خرقا كبيرا لأسوار النظام الاعلامية.

الصحفي عدنان علي:

ثمة تجربتان تعتمد الاولى على الناشطين الاعلاميين على الارض الذين يزودون محطات التلفزيون بالاخبار والفيديوهات عما يجري، وهي تجربة مميزة وفدائية، وتجربة اعلام الثورة الذي نشأ في بعض الدول . بعض هذا الاعلام حاول باجتهاد مواكبة ما يجري في اخباره وبرامجه لكنه ظلّ إجمالاً أسير الحالة التعبوية التي ترفع الشعار قبل المعلومة الصحيحة. وثمّة إعلام مرتزق يحاول التكسب باسم الثورة؛ والمسؤول هو حالة الفوضى وعدم التنظيم التي لا تقتصر على الاعلام وحده، فليس حال الاداء السياسي للمعارضة بأفضل ولا الخَدَميّ أو العسكري ... الخ . وإعلام الثورة بمؤسساته ودكاكينه غير قادر بوضعه الحالي على التأثير الجذري في مسار الثورة وصورتها، وتظل صورة الناشطين المستقلين نسبياً عن جسم المعارضة وترهلاتها هي الافضل. ولو أن للمعارضة، وبخاصةٍ.. الائتلاف؛ مؤسسات اعلامية وازنة ورزينة ، كان يمكن ان تسهم في تشكيل رافعة للثورة بجوانبها العسكرية والسياسية والانسانية ، بحيث تؤدي مهمات الاعلام التقليدية في الرقابة والتحفيز والتنوير، اي الاعلام ونقل المعلومات

الصحفي أسامة سعد الدين قال ل»تواصل»:

معظم الذين يعملون في صحافة الثورة ،لايمتّون بِصِلَةٍ إلى هذه المهنة ، وعلاقتهم بالصحافة، مثل علاقتي باللغة الصينية، وهو ماخلق نفراً من المُتطفلين – بعضهم كان يعمل في ميكانيك السيارات ــ وأصبح اليوم صحفيا يُسوّق أخبار "الثورة" نشراً وبثاً وعبر المواقع الإعلامية الالكترونية ،وحيال هذا الواقع المرير ، تم تشويه أعظم ثورة في التاريخ المعاصر على اقل تقدير. رغم بروز ناشطين تطوّعوا للانخراط في الثورة إعلامياً؛ إلا أن غياب استراتيجية إعلامية لثورتنا وعدم تشكيل هيئة أو كيان مسؤول عن الصحافة والاعلام ،جعل جهود هؤلاء الناشطين تؤدي دورا سلبيا.

في حين حمّل الصحفي علي عيد جزءاً من المسؤولية للمُموّلين وقال.. ل»تواصل»:

هناك مشكلة مركبة في صحافة الثورة فهي تعاني من ضعف التمويل من جهة؛ ومن سيطرة جهات حزبية أو تجارٍ.. من جهة ثانية.. هذا إذا نظرنا إلى طبيعة من يقف وراءها، ونلاحظ بأن القنوات التي تُعنى بالمسألة السورية والداعمة للثورة بمفهومها العام هي إما تابعة لجماعات إسلامية وخذ مثالا: قناتي وصال وشذا الحرية؛ التي يقف خلفهما الشيخ محمد العرعور أو.. قناة شامنا التي تقف وراءها جماعة الأخوان المسلمين، وهناك.. أورينت وسوريا الشعب الأولى لرجل أعمال سوري وهو غسان عبود والثانية لرجل أعمال أردني؛ كذلك الحال بالنسبة لسوريا الغد التي يمولها رجل الأعمال السوري محمد الشبك، وجميع تلك القنوات تعمل بصورة مشوشة ولا تقدم جرعة واعية مشبعة.

الصحفي ياسر بدوي اعتبر «صحافية النشطاء» حالة مرحليّة وقال لتواصل:

إنها حالة معقدة و مركبة، ولا أستطيع إطلاق الحكم عليها بقدر ما أستطيع وأحبذ التوصيف، وهذا التوصيف ينطلق من حكم قيميّ يقول بأن هؤلاء استطاعوا كسر احتكار

المعلومة؛ و نجحوا في المرور من حراس البوابة بوسائل بسيطة وكفاؤات متواضعة جدا، وهنا السؤال: هل النجاح في كسر احتكار المعلومة ،حقّق الغرض؟؛ الجواب.. لا ، فقد بقي إعلام الثورة في الإطار السلبي يردد جملاً منقولة، وبقي أسير فكرة الهدم و النفي، وفي هذا المجال كان الاعلاميون ساحة هينة وسهلة للاختراق من قبل النظام وأعوانه بسبب انعدام المهنية في تحري المعلومات و تحرير الأخبار؛ وسيطرت الإشاعة على دقة الخبر، والتهويل على الموضوعية؛ الشيء الذي مكّن النظام من تمرير روايته و دسائسه بسهولة؛ وبالمجمل؛ وإلى الآن.. يُروّج إعلام الثورة روايات النظام ويقع في افخاخه التي ينصبها للمعارضة والثوار في مسيرة التشويه، وعصب هذا التشويه هو ترويج الارهاب !؛ فاغلب مقاطع الفيديو و الأخبار يبثها النظام عبر اعلام الثورة ؟!.

حَرفُ مسارِ الثورة و.. الدخلاء

ترى هل أدى دخول النشطاء إلى حَرفِ مسيرة الثورة عن أهدافها في الحرية والكرامة وحسن توزيع الثروة والعدالة الإجتماعية، وما هو الدور الذي لعبه الدخلاء على صاحبة الجلالة وخاصة من تبوّأ مواقع إعلامية

تحقيق

مفصليه كمكتب صحفي أو رئيس تحرير أو حتى مُموّل .

الصحفي أحمد حسن قال:

مع دخول الكثير من دكاكين الاعلام الى الثورة ابتعدت عن اهدافها وغدت مجرد نشرة احقاد طائفية لا تفكر لا بغد البلد ولا مستقبل جيله الضائع ولا سيما بعد ان صارت المكاتب الاعلامية موضة للكتائب والجهات التي انتسبت للثورة نتيجة هذه الدكاكين واضحة حيث نجحت في جعل كل جرائم النظام مالوفة لعين المشاهد العالمي بعد ان اغرقت الاعلام بمشاهد الدماء فلم تعد اكبر الجرائم تخلق رايا عاما عالميا لانهم الفوها ويضاف الى ذلك عشرات الفبركات والاشاعات الغير مسؤولة والتي جعلت حتى الاخبار الصحيحة لا تصدق .. نحن بحاجة شبابنا المهنيين لانقاذ البلد وانقاذ اهداف الثورة باعلام يركز على مستقبل البلد ويعرف كيف يكون شفافا وناقدا لاخطائنا قبل جرائم النظام ويعرف ماذا يريد الشعب ولا يسوق البلد في خطاب ينهي كل مظاهر الحياة فيها باسم الثورة

الصحفي جودت حسون:

رأى بأن إعلام الثورة وموضوعاتها تأثرت بترهيب الأمن والشبيحة وخنق عسكر النظام لأي صوت إعلامي محلي أو خارجي، لذلك ولدت ، وقد نجد الصراع بين "داحس" و"غبراء" الفضاء العربي ذلك، وأقصد قناتي الجزيرة والعربية. فهل يمكن للدكاكين الإعلامية الثورية مواجهة إعلام النظام

وتعديل مسيرة الثورة وتصحيح النظرة المشوهة التي تكونت عنها وخاصة عالميا. إن قلت "دكاكين" فالأمر منتهٍ، طبعا هي عاجزة عن المواجهة، ولكن يمكن ذلك عندما تكون هناك مشاريع إعلامية يقودها ويعمل فيها أصحاب "الكار"، الأمر الذي ظهرت سيئاته في إعلام الثورة بما يذكرنا بمثالب إعلام النظام.

الصحفي عدنان علي قارب الموضوع من خلال إعلام النظام وقال:

- في الجانب الموالي كان الاعلام أحد اهم ماكينات النظام لتسويق روايته وتشويه صورة خصومه ولا يزال قطاع كبير من جمهور النظام ينظر باطمئنان نسبيا إلى اعلام النظام خاصة في الاشهر الاخيرة بعد ان تحقق فرز واضح على الارض بين الموالين والمعارضين

الباحث والصحفي عمر كوش.. حَمّلَ جزءاً كبيراً من المسؤولية على القائمين على المكاتب الصحفية وقال:

المكاتب الإعلامية، للإئتلاف او المجلس الوطني، لم تخدم الثورة كما يجب، لأن معظم المسؤولين والقائمين عليها لا علاقة لهم بالإعلام او الصحافة، بل عينّوا نتيجة انتماءاتهم وتمثيلاتهم السياسية والإيديولوجية، وتحولت المنابر والمكاتب الإعلامية إلى أجسام بيروقراطية، وتدخل المحسوبية في عملها على حساب المهنية، وبقيت محدودة التأثير والفاعلية، ولم يسمع بها أحد في بعض أوساط الثورة وحاضنتها الاجتماعية. كان المفترض أن تقوم المكاتب الإعلامية بإيصال صوت الثورة وأخبارها إلى العالم، وكشف وفضح جرائم النظام الأسدي. وهذا الدور يقوم به صحفيون كثر في داخل سوريا، مخاطرين بحيواتهم، ويحاولون عمل ما عليهم على أكمل وجه، بالرغم من تعرض أغلب المصورين والمراسلين للإعتقال والتعذيب على أيدي نظام الأسد، ثم على أيدي تنظيم "داعش" والنصرة وسواهم من الفصائل المتشددة أو تلك التي لا تخدم أهداف الشعب السوري وثورته.

وبالرغم من كل ذلك تمكن بعض الصحفيين من القيام بأدوار معتبرة، مثل قيامهم ببث مباشر ونقل كل أخبار الثورة وصور المجازر التي حصلت في مناطقهم، وأوصلوها إلى وسائل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء. وقد استشهد العديد منهم برصاص قوات النظام وداعش وسواهما، واعتقل بعضهم وعذّب وشرّد، ولا يسعني إلا أن أحييهم وأقف معهم، وأطالب بدعمه في مهمتهم المحفوفة بالمخاطر

الصحفي فؤاد عبد العزيز قال:

إن الدكاكين لا يمكن ان تتحول الى اسواق .. مهما تكاثرت بها البضاعة ... يجب ان نعترف ان اعلام الثورة يعاني من ازمة حقيقية تتجلى بوجود هذه الدكاكين الصغيرة التي بدات تعمل وبسبب نقص التمويل لأجندات مموليها وليس لأهداف الثورة النبيلة التي قامت لأجلها ... اضافة الى ان هذه الدكاكين أفرزت اعلام مناطقي بحسب منطقة صاحب الدكانة ، لدرجة اننا اليوم بدأنا نلحظ ان ابناء هذه المنطقة يتابعون هذه الوسيلة بعينها لأنها الاكثر تغطية لأخبارهم ... برأيي حتى الان الثورة لم تستطع ان تنتج اعلام مصدر .. اعلام الثورة صحيح انه استطاع ان ينتج الصورة ويكون مصدرها ولكنه لم يستطع ان ينتج حتى الان الخطاب ... وترك الامر للقنوات العربية الاخبارية التي ايضا بدأت تتلاعب بالثورة بحسب اجندتها وبما يناسب خطابها وسياستها وما تتعرض له هذه السياسة من تحولات.

الصحفي أسامة سعد الدين اجاب عبر حادثة جرت بينه وبين السيد غسان هيتو وقال:

أُورِدُ هنا مادار بيني وبين أول رئيسٍ مُكلّفٍ بتشكيل الحكومة المؤقتة السيد غسان هيتو؛ عندما سألته وهو في طور السعي لتسمية الوزارات التي ستتضمنها حكومته ،هل توجد حقيبة لوزارة الإعلام؛ فكان جوابه ينمُّ عن فهمٍ خاطئ لدور الاعلام في دعم الثورة ونشر انجازاتها وتسليط الاضواء على بطولات الثوار وتصحيح الاخطاء والترهات التي يسوقها اعلام النظام عن الثورة ليس فقط محلياً وعربياً وانما عالمياً ، قال هيتو: "يارجل نحنا بدنا حرية فلماذا وزارة الإعلام ؟" عندما علمت بهذا النهج الذي تتبعه قيادات المعارضة في الائتلاف، ترسخ لديّ اعتقادُ الفشل الذي يُحيط بهذه المعارضة من كل الجوانب وأيقنت باننا امام مشوار طويل لتحقيق اصلاح هذا الجسم "المعارض" وربما نحتاج في القادم من الأيام لثورة مضادة عليه؛ في المقابل.. يوجد عشرات من الكفاءات المهنية من خيرة الصحفيين والاعلاميين التي التحقت في ركب الثورة، تم اقصاءها عن أي موقع ، حتى في مجال الاستشارات لايستفاد منها، وكذلك حال العديد من كبار السياسيين.

الزميل علي عيد.. لم ير أملاً يرجى مما يسمى إعلام الثورة وقال: إعلام الثورة بصورته الحالية هو مجرد صيحة في وادٍ، وتلزمنا ميزانيات ضخمة لإنتاج مواد إعلامية مبينة على استقصاءات حقيقية ودراسات تفند خطاب النظام وتعيد تشكيل وعي الشارع السوري أولا الذي وصل إلا حالة اليأس والإحباط قبل تعديل صورة الثورة والتأثير في الرأي العام العالمي وهو أمر نحتاجه بالضرورة. صور الدم والقتلى والدمار لا تكفي لأن توصل للعالم رسالة مفادها أنك صاحب حق .. عليك أن تقدم أولا مفهوم الثورة الحضاري وأساس خروج الناس وطبيعة السوريين الحضارية وخطابهم الجامع وأن تخرج من سجن نشرات الأخبار التي لا تهتم سوى لسرد معارك اليوم وملاحقة أكاذيب النظام وشتم المعارضة.. الإعلام هو "كعب آخيل" الذي تنتصر به الثورة أو تسقط، وعبر الدكاكين التي تقدم خطابا وصورة هزيلتين اليوم فإن فرصنا معدومة في مواجهة إعلام النظام ومؤسسات العلاقات العامة التي تسوق له في دول الغرب.

وأنهي الصحفي ياسر بدوي بسؤال واستغراب:

ولكن ما لا أفهمه كيف تتاجر الثورة بالدماء وتروج القتل والخديعة ، وأفهم تماماً لماذا كانت دولة المخابرات تحشو الوسائل الإعلامية بإناس وعاملين لا يمتلكون المؤهلات، لكن لا أفهم كيف تقبل الثورة لشخص لايملك شهادة ابتدائية أن يتبوأ مكانة إعلامية، وأتفهم كل الفهم كيف يعتقل النظام صحفياً أو يحاكمه أو يضيق عليه وكيف يحارب الأعلام ، ولا استطيع تبرير أي سبب وراء محاربة الثورة للإعلام وإعتقال صحفيين وقتل آخرين وتهميش الخبرات وأصحاب الكار؛ وما تزال القضية مطروحة وهي برأيي تتفاقم وتنذر بعواقب وخيمة إن لم تسارع قوى المعارضة إلى تأسيس إعلام يقوم على أساس المهنة والاختصاص وعندها سيصب في مصلحة الشعب ، لأن الشعب يمتلك الحق المطلق أمام الأنظمة والجماعات التي تتمثل به وبنظمه.

خلاصة القول..

أتيت على آراء عيّنة ممن عملوا في الإعلام السوري، وبوسائله كافة،المسموعة والمرئية والمطبوعة، وحرصت على ما يسمى بالأجيال والتوزع الجغرافي بعد الثورة، فمن الزملاء من هو موجود في قطر ومصر وتركيا وباريس وحتى في الداخل السوري، وحرصت على مشاركة الزميلات اللواتي اعتذرن كل بحسب ظرفها، بل إن بعض زملائنا الصحفيين لا يعمل في مهنة الصحافة؛ وأغلبهم قد حذر من تشويه الثورة وجرها إلى حرب أهلية ونزاعات روحية قد توصل البلاد للتقسيم والدولة الفاشلة بمساعدة أغلب إعلام الثورة وبعض القائمين عليه .

نص الإعلان العالمي لحقوق الانسان

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة. ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم. ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدما وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح. ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية واحترامها. ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد. فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه جميع الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

المادة 1

يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق. وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء.

المادة 2

لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء. وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي لبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة 3

لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

المادة 4

لايجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بجميع أوضاعهما.

المادة 5

لايعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة.

المادة 6

لكل إنسان أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية.

المادة 7

كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة. كما أن لهم جميعا الحق في حماية

متساوية ضد أي تميز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا.

المادة 8

لكل شخص الحق في أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية لإنصافه عن أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسية التي يمنحها له القانون.

المادة 9

لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفا.

المادة 10

لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظرا عادلا علنيا للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه.

المادة 11

(1) كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئا إلى أن تثبت إدانته قانونا بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه.

(2) لا يدان أي شخص من جراء أداة عمل أو الامتناع عن أداة عمل إلا إذا كان ذلك يعتبر جرما وفقا للقانون الوطني أو الدولي وقت الارتكاب. كذلك لا توقع عليه عقوبة أشد من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة.

المادة12

لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته. ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات.

المادة 13

(1) لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة.

(2) يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه.

المادة 14

(1) لكل فرد الحق في أن يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء إليها هربا من الاضطهاد.

(2) لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية أو لأعمال تناقض أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة 15

(1) لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

(2) لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفا أو إنكار حقه في تغييرها.

المادة 16

(1) للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين. ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله.

(2) لا يبرم عقد الزواج إلا برضى الطرفين الراغبين في الزواج رضى كاملا لا إكراه فيه.

(3) الأسرة هي الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.

المادة 17

(1) لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره.

(2) لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفا.

المادة 18

لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين. ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته. وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذسرا أم مع الجماعة.

المادة 19

لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير. ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل. واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية.

المادة 20

(1) لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية.

(2) لا يجوز إرغام أحد على الانضمام إلى جمعية ما.

المادة 21

(1) لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشئون العامة لبلاده إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختيارا حرا.

(2) لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.

(3) إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة. ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت.

المادة 22

لكل شخص بصفته عضوا في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية وفي أن تحقق بوساطة المجهود القومي والتعاون الدولي وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لاغنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته.

المادة 23

(1) لكل شخص الحق في العمل. وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما أن له حق الحماية من البطالة.

(2) لكل فرد دون أي تمييز الحق في أجر متساو للعمل.

(3) لكل فرد يقوم بعمل الحق في أجر عادل مرض يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الإنسان تضاف إليه. عند اللزوم. وسائل أخرى للحماية الاجتماعية.

(4) لكل شخص الحق في أن ينشئ وينضم إلى نقابات حماية لمصلحته.

المادة 24

لكل شخص الحق في الراحة. وفي أوقات الفراغ. ولاسيما في تحديد معقول لساعات العمل وفي عطلات دورية بأجر.

المادة 25

(1) لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته. ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة. وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته.

(2) للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين. وينعم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية سواء أكانت ولادتهم ناجمة عن رباط شرعي أو بطريقة غير شرعية.

المادة 26

(1) لكل شخص الحق في التعلم. ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان. وأن يكون التعليم الأولي إلزاميا وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني. وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.

(2) يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملا. وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية. وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام.

(3) للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم.

المادة 27

(1) لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكا حرا في حياة المجتمع الثقافي وفي الاستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم العلمي والاستفادة من نتائجه.

(2) لكل فرد الحق في حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني.

المادة 28

لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحققا تاما.

المادة 29

(1) على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نموا حراً كاملا.

(2) يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقررها القانون فقط. لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق في مجتمع ديمقراطي.

(3) لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة 30

ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه

الكاتب والباحث اللبناني المقيم في باريس

خالد بريش

في روايته «سلام من صبا بردى» يسرد حكايات عن التعذيب في ظلمات السجون السورية عبر حكايات امرأة اسمها(مرام)

رواية سلام من صبا بردى (مرام) هي حكاية من واقع عذابات حرائر الشام في السجون السورية واللواتي عانين صنوف القهر والعذاب خلف القضبان حيث يعتبر الخوف والمهانة والرعب والاذلال بابشع صوره خبزا يوميا في ظروف لاتعرف الرحمة والإنسانية ولا تمت لدين او لعرف من الاعراف بصلة .. عالم السجون السورية السيئة السمعة كم شهدت من مآسي مروعة من قتل واغتصاب وتعذيب ليس له مثيل في سجلات المجرمين, احداث موجعة جسدها الكاتب اللبناني المقيم في باريس خالد بريش في روايته ليحمل القارئ الى عالم السجون السورية وأجواءها القاسية من وجهة نظر امرأة لم ترتكب اي جرم لكنها دخلت السجن لسنوات طويلة تم خلالها تخريب كل ما له علاقة بالحياة من حولها مع انها لم تنخرط يوما في السياسة او المعارضة

اشد اللحظات ظلمة هي اللحظات التي تسبق الصباح

او العمل الحزبي. ويقول الكاتب "مرام هي كل امرأة سورية تمر أمام الأمن، بل هي كل النساء العربيات في وطننا العربي... المرأة في بيتها أحيانا تعاني ما تعانيه المرأة في السجن".ويهدي خالد بريش روايته الى "كل اللواتي انتظرن طويلا اليوم الذي يسمعن فيه الهتاف الضارب بجذوره في أعماق التاريخ والمطرز بنفحات قدسية وهو ينطلق من حناجر المتظاهرين طلاب العزة والكرامة: الموت ولا المذلة".

ونقرأ حكاية بطلة الرواية (مرام) بانها كانت شابة متعلمة ابنة عائلة متدينة وحفيدة رجل دين عرفه الجميع في احياء دمشق القديمة، ارتبطت بزوجها بطريقة تقليدية وكانت تعمل على تربية طفليها، لكنها فجأة ونتيجة وشاية كاذبة اقتلعت من هذا العالم الآمن واتهمتها المخابرات بأنها تهرب السلاح لجماعة إسلامية متطرفة، مع أخيها الذي تمكن من الفرار. ومن هذه اللحظة، تنقلب حياة مرام رأسا على عقب، وتصبح ملكا لأجهزة المخابرات، فتخضع لحلقات تعذيب يومية لا تنتهي. وتسرد الرواية ثلاثة أجزاء من حياتها: قبل السجن وهي المرحلة التي سبقت وصول عائلة الأسد الى السلطة، ومرحلة السجن وفصول التعذيب، ومرحلة العودة الى الحياة. كانت مرام طوال فترة سجنها تواجه من منطلقاتها وأخلاقها العالية عالما تخلى عن مبادئه وأخلاقه وقيمه وبات محكوما بالشهوات والنزوات والفوضى وعطش السلطة. تمضي مرام زهرة عمرها وشبابها في الدهاليز المظلمة، تتذوق الرعب والمهانة والمذلة والاغتصاب، في عالم لا يعرف الرحمة، وفي مكان يسميه الكاتب ساخرا، كما يفعل السجناء السوريون "المضافة الوطنية" او "فندق خمس

نجوم" أو "السجون الحضارية" او "المنتجعات الوطنية". في السجن تلتقي مرام بنساء أخريات كثيرات، منهن اعتقلن بغير ذنب أو بهدف الضغط على اخ او ابن او زوج كي يسلم نفسه. لكنها وبعد سنوات طويلة من النسيان تخرج مجددا الى الحياة بعد ان أصبحت سوريا كلها "سوريا الأسد" كما يشير الى ذلك الطاتب خالد بريش في المقدمة. وفي الفصل الاخير الذي يحمل عنوان "الانتقام" وبعد ان عملت مرام لأشهر كممرضة ومشرفة على الخدمات في مستشفى تنطلق الثورة فتتحول الى العمل في مستشفى سري.و للكاتب مجموعة قصصية بعنوان باريسيات حنظلة ومجموعة اخرى بعنوان (الشعب يريد (EGAGED و (رواية الخروج من بوابة حيفا) وعلى مستوى البحث العلمي للكاتب دراسات عن الطب والطبابة ,, العرب والمسلمين .. داوود الانطاكي وله تحت الطبع كتاب اخر السيناويين نسبة الى العالم ابن سينا وقد نوقشت رواية سلام من صبا بردى مرام ومجموعة من اعمال الكاتب الادبية في ندوة اقيمت في المركز الثقافي المصري بباريس بحضور نخبة من الجمهور الفرنسي والعربي والتقيت بالكاتب اللبناني بعد الندوة وكان لي معه هذا الحوار :

س-حدثنا في البداية عن اعمالك الادبية بين الرواية والقصة القصيرة ؟

* صدرلي اربعة اعمال ادبية منها روايتين و كتابين قصص قصيرة و الرواية االتي لقيت صدى في باريس حملت عنوان (سلام من صبا بردى مرام) وهذه الرواية كتبتها بعد ان التقيت مجموعة من السجينات السوريات ومجموعة سجناء من الرجال ايضا واستمعت اليهم ومن هذا الواقع المسموع استطعت تجميع المادة وكتابة هذه الرواية عن عالم السجون السورية واجواءها القاسية من وجهة نظر امرأة لم ترتكب اي جرم لكنها دخلت السجن لسنوات طويلة تم خلالها تخريب كل ما له علاقة بالحياة من حولها مع انها لم تنخرط يوما في السياسة او المعارضة او العمل الحزبي. لقد استندت في كتابي الذي حولته الى رواية ادبية تحمل في مضمونها حكايات وتجارب عشر نساء ذقن

قساوة السجن السوري حيث لا يعود الانسان انسانا بل يتم التعامل معه على انه شيء او حيوان "لقد قاطعت ما بين حكايات النساء العشر، وجعلتها تتداخل لاكتب رواية مرام التي تستند في وصف عذاب السجن الى وقائع فعلية تماما".

س- هل نعتبر رواية سلام من صبا بردى عمل ادبي سياسي يعري الواقع القاسي والمظلم للمعتقلات السورية ؟

* انا اعتبر هذه الرواية عمل ادبي يطل القاريء من خلاله على السياسة والمجتمع بشكل عام .. والرواية أتت في سياق الواقع الذي نعيشه الان سواء من خلال الربيع العربي وأيضا من خلال القاء الضوء على واقع السجن خصوصا بالنسبة للنساء فالمرآة التي نتشدق في بلادنا العربية ونقول بان الاسلام أكرمها وأعطاها الحقوق ,, هاهي تعاني في السجون العربية اشد المعاناة .. ونحن لانمنحها شيئا سوى الصمت والتجاهل للاسف لم يكتب احد عما حدث للنساء خصوصا السجينات السوريات كما ان النساء انفسهن يحاولن الابتعاد عن موضوع السجن او يتحدثن بشكل عام عنه انا حاولت الخوض في غمار الاحداث من خلال حديثهن عن يوميات عامة ولكنني اردت ان اخوض في غمار الاحداث الحميمية للنساء وما حدث معهن داخل المعتقلات المرعبة .

س- الكتابة عن المرأة اشبه بتخطي اسلاك شائكة ووعرة بالنسبة للكاتب الرجل هل تشعرانك ككاتب استطعت الخوض في تحليل وتصوير المرأة بعمق وباحساس من موقعك الذكوري خصوصا في الكتابة بلحظات ما اكثر حميمية وخصوصية؟

* الروائي يمتطي صهوة الجياد المتعددة في لحظة من اللحظات ويلبس ثيابا متعددة وهي تتيح له الحركة ومسافة للتعامل مع الاشياء وبالنسبة للاحاسيس كاحاسيس امرآة فمن السهل تخطيها .. لان الانسان في حالة العذاب هو واحد ان كان امرأة او رجل , فالصفعة لها نفس الالم والتأثير على الوجه والنفس .. لان الصفعة هي اهانة للكرامة الانسانية . ومقدار الحساسية والعمق في كتابة الرجل عن المرأة فهي تختلف من كاتب الى أخر ,, فبعضهم نجح وبعضهم اخفق وهذا ينطبق ايضا على الرسامين والفنانين فمنهم من نجح في التخصص برسم المرآة وآخرين رسموا الرجل وابدعوا في هذا آلاطار وهذ القضية تبقى قضية نسبية وشخصية .

س- ابطال الرواية سلام من صبا بردى هل هم اشخاص حقيقيون من الواقع من لحم ودم ام شخوص خيالية من خيال الكاتب وقلمه؟

* هم ليسوا بأشخاص من صنع الخيال بالشكل المطلق وليسوا أيضا حقيقيين بالشكل المطلق .. الرواية مجموعة كبيرة من الشخوص والاحداث وابطالها سواء رجالا ونساء او من خلال احداث جانبية حصلت في الواقع السوري تعود الى امتدادات من 2891 صل حتى الواقع الحالي وما تعيشه سوريا حاليا .بمعنى ان الرواية هي مجموعة من الاخبار ايضا جمعت على بعضها البعض لتشكل بالنهاية خلفية ادبية للكتاب

س- كتبت عن التعذيب بشكل قاس واعدت تكرار وصف قسوة التعذيب لماذا هذا التكرار هل يخدم الرواية ام يخدم حقيقة ايصال حقائق ووقائع المعتقلات السورية ؟

* ان "آثار شتى انواع التعذيب نراها في عيون كل امراة خارجة من براثن معذبيها وهناك أشياء تتعلق بفنون التعذيب لم آت على ذكرها في الرواية لشدة قسوتها". استندت في كتابي الى حكايات وتجارب عشر نساء ذقن قساوة السجن السوري حيث لا يعود الانسان انسانا . بل يتم التعامل معه على انه شيء او حيوان "لقد قاطعت ما بين حكايات النساء العشر، وجعلتها تتداخل لاكتب رواية (مرام) التي تستند في وصف عذاب السجن الى وقائع فعلية تماما .واردت ان تكون مقصودة وجاءت لتصور رتابة السجن ويومياته وتكرار التعذيب على مدى اشهر طويلة ".

س- كتبتم في مقدمة الكتاب عن المرحلة التي شهدتها سوريا منذ السبعينات مرحلة الأسد الاب والتي اعتبرها المؤرخون والكتاب حسب رأيكم اسوأ مراحل الاستقرار في سوريا ؟

* لقد كتبت في مقدمة الرواية عن سوريا منذ مراحل الخمسينات والستينات التي شهدت الكثير من الانقلابات والصراع السياسي على السلطة ورغم كل شيء فان ذلك كان مؤشر صحي يؤكد على ديناميكية الشعب السوري. اما حين استلم الاسد السلطة فقد دخلت سوريا في حالة غير طبيعية من كافة النواحي، وعمل النظام على "تجيير كل ما في الوطن من خيرات ومقدرات ومناصب لمصلحة افراد عائلته وزبانيته الذين اخذوا يتصرفون بالوطن ومصيره وشعبه كحاجيات ورثوها بل واختزلوا الوطن تاريخا وشعبا بشخص واحد هو الرئيس و أصبحت للأسف سورية بين عشية وضحاها (سورية الاسد) بعد ان كانت سوريا نبض العروبة الضارب في تاريخها عمق الحضارات والأمجاد

س- لمن اهديت رواية سلام من صبا بردى مرام ؟

* أهديت روايتي الى "كل اللواتي انتظرن طويلا اليوم الذي يسمعن فيه الهتاف الضارب بجذوره في اعماق التاريخ والمطرز بنفحات قدسية وهو ينطلق من حناجر المتظاهرين طلاب العزة والكرامة: الموت ولا المذلة"

س- الشعب يريد مجموعة قصص قصيرة عن الربيع العربي كيف تناولت هذه الاحداث والقصص ؟

* الشعب يريد مجموعة قصص قصيرة تتحدث عن قصص وحكايات حدثت عن مجموعة من البلدان العربية التي حدث بها الربيع العربي واخترت اليمن في المقدمة كونها بلد قحطان أصل العرب ,, ثم مررت بعدد من البلدان وصولا الى الثورة في سوريا في النهاية لأني أؤمن ان الأزمة السورية ستطول لان سوريا أصبحت مسرحا لكل اللاعبين شرقا وغربا وهذا يذكرني بأغنية لمارسيل خليفة حتى التايواني ودول ليس لها أهمية ولانعرف اسمها على الخارطة أصبحت تضع أصبعها في الأزمة السورية .

كما ان النظام نجح في إيصال سوريا لتصل الى حد الاهتراء وفشل في إيقاف الثورة رغم كل التدخلات الخارجية التي تحارب الى جانب النظام .

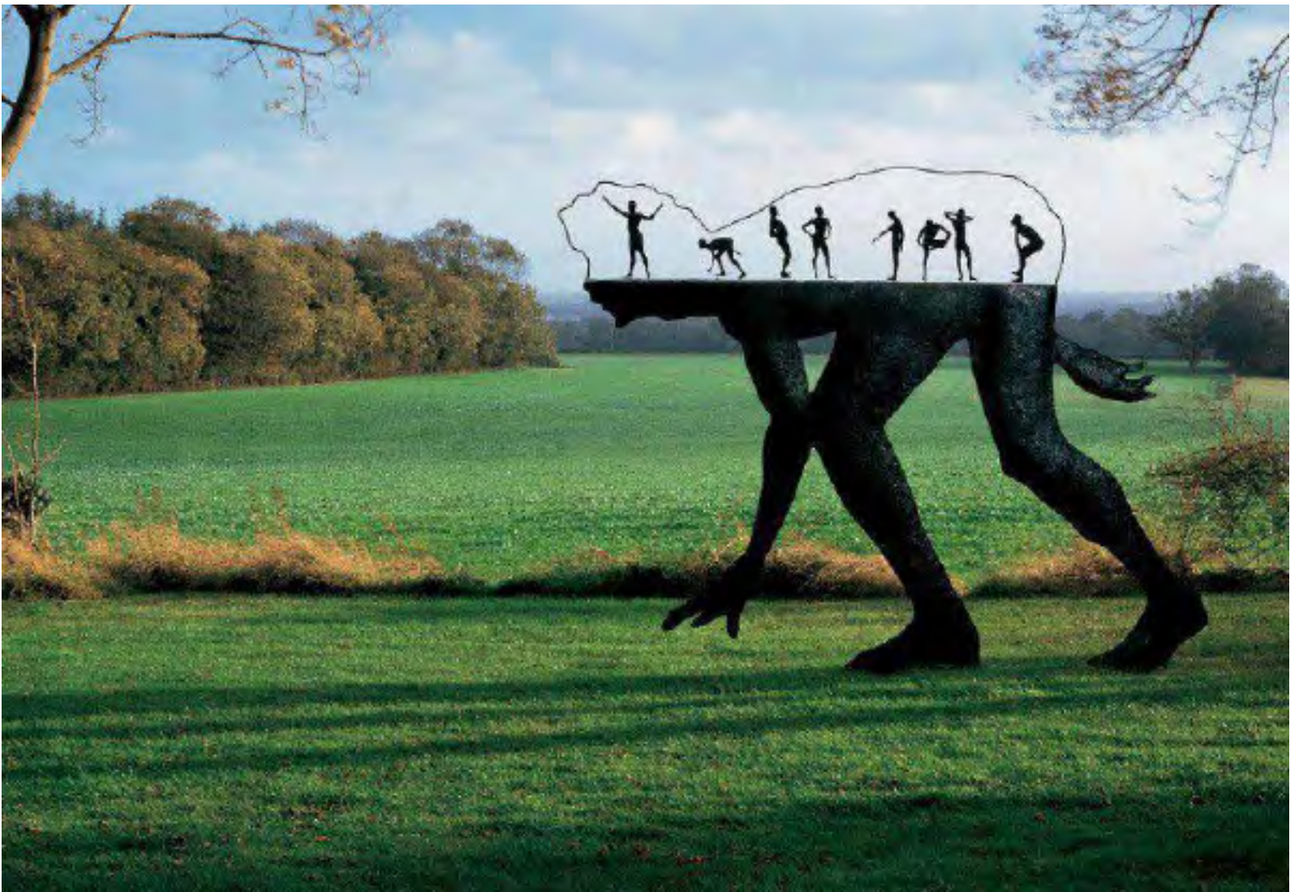

فن تشكيلي

مختارات ...
من أعمال الفنانة التشكيلية السورية
سهير السباعي

في الحربِ وحدها الأشجارُ لا تموت

-1
في قلبِ كلِّ شجرةٍ
ثمّةَ ذكرى
في ذكرى كلِّ قلبٍ
ثمّةَ شجرة
تحت شجرةِ كلِّ ذكرى
ثمّةَ قلب؛
الشجرةُ تبقى
بينما القلبُ يرتدي الذكرى
ويمضي.
***

-2
طائرٌ ما
لا اسمَ لهُ
يتذكرُ شجرة ما
لا اسمَ لها..
حيثُ الحرب الطاحنة
تأخذ معها كل الأشياء.
***

-3
ماذا ينبغي أن أقوله
لما بقي من التراب البارد؟
وماذا ينبغي على التراب البارد
أن يقوله؟
كلانا في حيرةٍ
نرنو إلى الجهة الخامسة/
حيثُ اللا أحد
ينظر - هو أيضاً-
في حيرةٍ.
***

-4
في الحربِ
لا تموتُ الأشجارُ..
كلّ عصفورٍ
يخبئ في قلبهِ شجرةً
ويمضي.
***

شتائيات...

ياسر الأطرش

بردانةٌ يا ربّ ..
يا ليتَ قومي كلهمُ .. حمالةَ الحطبُ ..

أيها الآمنونَ في كلِّ أرضِ
لا تقولوا بأننا مثل بعضِ
نحن ملحُ الحروبِ نُطحنُ
حتى يحصدَ الجائزات أحسنُ عرضِ
نحن لا نحسبُ الشتاءَ طقوساً
بل ذئاباً كأنها هتكُ عِرْضِ
نحنُ جوعٌ، وغربةٌ، وضياعٌ
وشريدٌ لأهله غير مُرضِ
فاعذرونا إذا كبرنا شِراراً
ما رسمتمْ لنا سوى دربِ بُغْضِ

ليس الناسُ سواسيةً
فالبردُ يفرّقُ بين العظمِ وبين اللحمْ..
والطفلُ النائم مثل صَلاةٍ فوق الثلجْ
لا يشبهُ «حوريّات» الثورةِ
يتعرّينَ على كورنيش الدهشةِ نحلاً
يقطفنَ جميع الأصواتِ،
ويأوينَ إلى عسل النومْ ..
الطفلُ النائمُ مثل صلاةٍ ،
يدعو ... أن يستره الغيمْ ..

كلَّ شتاءْ
نحرق آلاف النخلاتْ .. كي نتدفأ
نشعلِ دمنا كي نتدفأ
والنفطُ يُكدَّسُ في المرفأ

كلَّ شتاءْ
حين يصير القلب رصيفاً، يعبرهُ آلاف الموتى
نغلق دون البرد البابْ
والقاتلُ يسكن غرفتنا ..

شعر تحت القصف
شعر التغريبة السورية

الحب في الزمن السوري

مقاطع من نشيج سوري لا ... ينتهي

نجاتي طيّارة

أسمحي لي يا حبيبتي أن أكون عنيفا.
قليلا ربما أو ربما كثيرا !
فأنا الذي ما توقفت عن حبك يوما.
أعلم علم اليقين أنك، كنت، وما زلت، وستظّلين ضد هذا العنف عندي!.
* * *
سأعترف بين يديك، وما بين قصف وآخر.
وأقول : لا فرق بيننا ، في جسدين كنا أو في جسد.
أو كنا شعبا واحدا، أم في متحد!
لافرق بيننا، على الرغم من فروقات في الطول والقصر.
على الرغم من فروقات في السواد والبياض ، بل وفروقات بين مذهب وآخر!
سأعترف لك بانني أحببتك دوما برفق، وما أزال.
لكنني اليوم لاشيء يمنعني من أن أحبك بعنف، أو بعض عنف.
******
لقد مضى بعيدا وانتهى ذاك الزمن، حين كنت أخاف من قطع غصن اخضر.
وينزاح قلبي لبكاء طفل.
وحتى ينتابني الهلع لرؤية شاعر يتنكب بندقية الصيد إلى جانب القصيدة.
وهو خارج مطاردا عصافير أحراش الوادي!
***

أبداً لم يعد هناك ما يمنعني، من أن أكون عنيفا وأحبك.
فأخبار قناصنا اليوم تفتتح المائدة.
ونحن نأخذها كما يأخذون ذخيرة الحرب، خشنة كانت أو ربما ناعمة!
فاسمحي لي إذن، ياحبيبتي، ان أحبك بعنف إلى حد ما أو ربما أكثر.
ولنغير وضعنا هنا و في مكاننا ، أو ربما هناك لا فرق .
لعلنا نمضي عميقا في حبنا، أو بعيدا.
وقبل أن يذهب بنا، أو ربما بمن حولنا، برميل يتساقط من أعالي السماء ، أو صاروخ عابر من بعض جهات الأرض !
ولك أن تستمري في الاحتجاج ضد عنفي.
فذاك ليس إلا بعض حقك.
كفيل به كل حبك عندي!
***
وحتى لو صار حبي لك مثل باقي القصص.
أو حتى صار حبا من طرف واحد كما يقال.
فكل ذلك لن يوقفني ، وسأمضي في حبك على هواي.
عنيفا إلى هذا الحد أو ذاك! فاسمحي لي !!
***
أنا الذي تحررت كثيرا، وتحررت أخيرا.
و يستحيل علي بعد، حديث وقف النار.
وحوار طاولات السلام.
فعلى طريقتي وحدي، أعلن أنني ساظل أحبك ،
وبين طلقة وأخرى! وموت وآخر ،
سأناديك يا حبيبتي، فاسمحي لي !
***
تركت قلبي في حمص.
أنا الآن حجر!
أمضي كما يجب.
وأعيش كما يفترض!
مترددا بين اللغات والوجوه.
أكاد أسمع من يناديني في شارع الملك الصالح، وأحيي من يلّوح لي في شارع الدبلان، وأقف متأملا كتب رصيف السرايا ، ذاهبا إلى الحميدية وبستان الديوان !
أكاد أعثر على قلبي وأهتف.
أيها الحنين اتركني قليلا، فأنا هنا وأنا هناك.
أنا في الطريق أو أكاد!.
***
سأضع حاجزا أمامك.
وحاجزا أمامي ، وربما آخر خلفي.
فأنا لم أعد أدري، أين أكون؟ وكيف أمضي بلا حواجز تسبقني وتوقفني.
وتسألني، وتأخذني.
كيف أمشي، وكيف أسعى، وإلى أين أحمل قلبي؟
***
أنا الذي لا أكف عن التصريح كل يوم ، بل كل ساعة .
أرجوك أن تتريثي قليلا.
وتفهميني!
فأنا المجبول كباقي بني آدم من ماء وطين.
مركب من سلالات وتواريخ لاتمضي وتسكنني!
فاقرئيني على اللافتات والصفحات.
أنا الذي بلغت من العمر عتيا.
اصبري علي قليلا، لاتتركيني !
واسمحي لي أن أحبك برفق او بعنف.
فذلك ليس إلا بعض منك، وبعض مني!.

من سفر الشتات الفلسطيني

قراءة نقدية في رواية جمال ناجي (غريب النهر)

من بلدة العباسية القريبة من يافا إلى اسطنبول مرورا بالأردن وسوريا ولبنان ينقلنا جمال ناجي في فضاء جغرافي شاسع ليقص علينا بمهنية رفيعة سيرة عائلة (أبو حلة) الفلسطينية، لزمن يمتد لقرابة قرن، نبحر فيه مع الام هذه الأسرة وآمالها، مع أفراحها وأتراحها، في تشردها وكدحها،في حكاياتها وتحولاتها،من اسرة مشردة، إلى مالكة بيارة في أغوار الأردن.

محمود شاهين

تأتي (غريب النهر) بعد ست روايات وأربع مجموعات قصصية لجمال ناجي ، فيوظف خبرة في فن الروي دامت لقرابة أربعة عقود ، يحرك فيها أكثر من خمسين شخصية على أكثر من مائتي صفحة ، بنفس ملحمي يقارب فضاء الميثولوجيا دون أن يوغل فيه ، ليظل واقع حال الشخصيات هو الماثل في صفحات الرواية . يبني جمال روايته على بناء درامي محكم ومشوق . فمن السطور الأولى يضعنا أمام زائر غريب في الستين من عمره يفاجيء اسماعيل أبو حلة (عمي اسمعين) وزوجته فخرية بزيارته .ولم تتكشف لنا أبعاد هذه الشخصية والغاية من زيارتها إلا بعد أن عرفنا جمال بتاريخ عائلة (أبو حلة) كله ، عبر استقراء ذاكرة الشخصيات تارة أو عبر الإسترجاع والعودة إلى التاريخ الماضي تارة أخرى ، وغير ذلك من الأساليب .

لم يكن الضيف إلا شوكت ابن أخي اسماعيل (مصطفى) الغائب منذ أكثر من ثمانين عاما ، حين جند في الجيش العثماني ابان اندلاع الحرب العالمية الأولى ، حيث قبض عليه أثناء هروبه من قرية العباسية أثر مطاردته لشاب (غمز بعينه شقيقته أثناء مرافقتها له إلى بيارة والده ، وكان من نتائج تلك المطاردة أن وقع الشاب في قاع الوادي المجاور وضرج وجهه بدمه ، ثم كف عن الحراك ، فظنه ميتا) (ص 42) وحين انتهت الحرب ومرت عقود دون أن يعود مصطفى اعتبر قتيلا أو ميتا .. وهو في الحقيقة لم يمت ، فقد عاش في اسطنبول وتزوج من تركية بعد أن حمل الجنسية التركية وأجب يلماز وشوكت ، الذي حضر في خريف عمره يبحث عن كنوز وموطن أبيه وأجداده . يوغل بنا جمال في التاريخ لنسب عائلة أبو حلة الذي دون على انطاء حفظ على مر السنين ، حتى أن اسماعيل أبو حلة حفظه عن ظهر قلب وراح يرويه للتعريف بنفسه ، ليخبرنا أنه ولد في العباسية بعد سبعة أعوام من انتهاء الحرب العالمية الأولى لأبويين عربيين فلسطينيين ، ,وأن جده فاروق أبو حلة ينحدر(من إحدى قبائل بني تميم من بني عبد الدار ، رهط الصحابي الجليل تميم الداري ، المتحدر من قبيلة عربية اسمها لخم ، أقامت في فلسطين قبل ألف وثمانمئة عام من ميلاد المسيح ، ثم انتشرت عائلاتها بعد الفتوحات الإسلامية في مناطق الخليل والساحل الفلسطيني ونابلس والسلط والكرك وسواها) ص 61 من الواضح في هذا المقطع

أن جمال يؤكد هنا على قدم الوجود التاريخي للعربي في فلسطين ، فيعيده إلى أقدم الهجرات العربية .كما يتطرق إلى قصة اسلام هذه الحمولة ومبايعة النبي محمد في يثرب (فقد أقنع تميم (الداري) شقيقه نعيم بن أوس ونفرا من أهله بالسير إلى يثرب لإعلان الإسلام أمام رسول الله صلعم) وهكذا (امتطى الرجال خيولهم وبغالهم وتوغلوا جنوبا في الصحراء مدة ثلاثة و ثلاثين يوما بلياليها ، وحين وصلوا يثرب رحب بهم رسول الله فأعلنوا اسلامهم في حضرته) وقد أقطعهم رسول الله (الجبال والسهوب التي يسكنون فيها بعد أن ينتشر الإسلام فأقطعهم مدينة الخليل التي كان اسمها حبرون والمرطوم وبيت عانون وبيت ابراهيم) ص71 ويورد جمال النص التاريخي لهذا الإنطاء حسب ما يرد في كتاب " الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل " لقاضي القضاة أبو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي .ص71 والد اسماعيل (عبد الجبار أبو حلة) كان مزواجا وعاشقا للنساء ، فتزوج من أربع ، اتسم بالكرم والشهامة معهن ، وميز في القرية بثلاث علامات فارقة : النار التي كان ينفخها من فمه والنساء اللواتي تزوجهن ، ومعارض الحصر التي كان يتاجر بها . أنجب تسع بنات وثلاثة أبناء. البنات تفرقن في أصقاع الدنيا بين فلسطين والأردن وسوريا ولبنان بعد النكبة . الإبن الأصغر (حمدان) استشهد في معركة الكرامة . دارت حول عبد الجبار تقولات ، كالسهر مع الغانيات في يافا والتبذير وتغيير الزوجات ، رغم أنه كان يتبرع بشكل دوري لمدرسة القرية ويوزع ما تيسر من معونات للفقراء خلال شهر رمضان ، وقد أصيب بنكسه أثر اختفاء ابنه مصطفى من القرية بعد مطاردة الشاب الذي غمز اخته ! وثمة ما كان عبد الجبار يخفيه عن أهل القرية ، وهو ما جعلهم يتعاطفون معه ، فقد دهم عسكر الإنكليز بيته واقتادوه مصفدا بعد أن أخرجوا ثلاث عشرة بندقية وثلاثة صناديق من الرصاص من مستودع القش والحصر أسفل البيت . لم يحتمل عبد الجبار وطأة السجن فمات صبيحة اليوم الذي رأى نفسه فيه يطير ممتطيا ظهر حصانه الأبلق ليطاول أعالي السماء . وكان ذلك اليوم هو (اليوم السادس من الشهر الأخير من شهور الموت في العائلة ، أي شهر آذار ، من العام الذي وضعت فيه الحرب العالمية الثانية أوزارها) ص601, يرسم جمال جانبا من ميثولوجيا عائلة أبو حلة وهي أن أفرادها لا يموتون إلا في الأشهر الثلاثة الأولى من العام ، حسب ما رسم لهم القدر الإلهي ! . نزح اسماعيل أبو حلة في عام النكبة الأولى برفقة زوجته فخرية وشقيقه حمدان وأمه عائشة وابنه الرضيع حينذاك شعبان .وحط رحاله في بلدة الشونة الجنوبية في غور الأردن .وابتاع ببطاقة الإعاشة التي حصل عليها من وكالة الغوث ستين دونما من الأرض البور ليحولها إلى بيارة . وهذا ماكان بعد أن باعت زوجته وأمه مصاغهما لبناء بيت وإصلاح الأرض وزراعتها .أنجب اسماعيل ثلاثة أبناء : شعبان ورزاق وجهاد ، وابنة (خلود) من زوجته الثانية نجود ، التي تزوجها فيما بعد . رزاق : أصبح مستثمرا لأموال منظمة التحرير الفلسطينية في العالم بعد أن رشحته خالته سفر لياسر عرفات الذي ربطتها به علاقة حميمة اثر اكتشافها محاولة لاغتياله, حمل العديد من الجنسيات و صاريتحدث لغات مختلفة .جهاد : انضم إلى صفوف الثورة الفلسطينية لينتهي مع زوجته في رام الله بعد اتفاقية أوسلو., شعبان : أصبح مديرا لسوبر ماركت كبير أنشأه رزاق من أموال منظمة التحرير ، وكانت زوجته (شهله) تحيا حياة باذخة مترفة . كان مصطفى والد شوكت قد تزوج في تركيا من أخت زميله في العسكرية الإمباشي التركي (طلعت أتاش) وكان هذا قد دفن كنزا في منطقة المفرق ، بعد أن تعرضت قافلة الجيش العثماني التي كانت تقل

تحفا وجواهر نفيسة جمعت من الناس لدعم المجهود الحربي، تعرضت لهجوم طائرات بريطانية مما أودى بحياة 321 جنديا وضابطا . كان بينهم اليوزباشي سرهان الذي مات وهو يحتضن صندوقا . وحين عرف طلعت ما في الصندوق ، أخذه ودفنه وعمل خارطة لمكانه .خارطة هذا الكنز آلت إلى شوكت الذي جاء إلى الأردن يبحث عنها .تم البحث ووجد الكنز . لكن كانت هناك خارطة أخرى في الكنز تقود إلى كنز آخرقرب قصر هشام بن عبد الملك في أريحا ، وهذا الأخير فيه خارطة تقود إلى كنز في العباسية . وهذا الأخير كان من المحال العثور عليه بعد أن تغيرت معالم المنطقة ، وأقيمت البنايات وشقت الشوارع ولم يعد أي أثر للعباسية . حاول جمال هنا اسقاط الكنز الثالث على القضية الفلسطينية برمتها حين راح يستقرئ نفسية شوكت: (ولقد أحس بأن البحث عن الدفينة الثالثة غير ممكن في ذلك الحين ، وربما في ما تبقى من حياته هو وتمنى لو أنه لم يذهب إلى ذلك المكان لظلت العباسية في ذاكرته مثلما حدثه أبوه مصطفى عنها) ص 981 , ولهذا أعطى الخارطة لابنة عمه اسماعيل (خلود)بعد عودته إلى الشونة (خذي هذه الخارطة ، قد تستطيعين الإستفادة منها ، لا أستبعد عنك شيئا) ص212. الحدث الآخر كان موت مصطفى الذي تبين أنه كان ما يزال حيا في استانبول وإن كان مقعدا . وكانت وصيته أن يدفن في العباسية . غير أن هذا الأمر كان مستحيلا رغم تدخل الأردن وتركيا لدى اسرائيل ، فموافقة اسرائيل على دفن الجثمان في العباسية تعني الإعتراف بحق العودة للفلسطينيين . ودفنه في أي بقعة من أرض السلطة الفلسطينية تعني الإعتراف بحق المواطنة !ولذلك كان لا بد من دفن مصطفى خلسة على بعد أمتار غرب النهر ، وقد تم ذلك تحت جنح الظلام .ليبقى مصطفى هناك وحيدا غريبا دفينا في جدث متواضع .ومن هنا جاء عنوان الرواية (غريب النهر) . بهذا تكتمل الدائرة الفنية التي فتحها جمال بقدوم شوكت إلى عمه اسماعيل في الشونه وأغلقها بدفن مصطفى وسفر شوكت عائدا إلى استانبول وسفر خالته سفر وابن عمه رزاق . وكما احتفظ الفلسطيني بمفتاح بيته منذ عام النكبة ،1948 راحت خلود في السطرين الأخيرين من الرواية (تجلد خارطة مكان دفن جثمان عمها مصطفى ، وخارطة الدفينة الأخيرة (الكنز) في أراضي قرية العباسية) ص 512 لا يستغرق زمن الروي ضمن الدائرة التي فتحها جمال أكثر من أسابيع ، بينما يشمل زمن الرواية أحداثا تقارب القرن ، تبدأ من أوائل القرن العشرين وتنتهي في أواخره . يدفع جمال بما حشده من وقائع لروايته قطرة قطرة فما أن يعطينا رأس خيط حتى يتركه ليدخلنا في رأس خيط آخر وهكذا .. كما أنه يتجنب المباشرة والسرد التقليدي ، ويجعل من نفسه محايدا قدر الإمكان ، رغم ادراكنا أن ثمة روائيا خلف االنص الذي بين أيدينا هو من يسير الأحداث ويبني خطابه الأدبي . فحين يحاول أن يقول لنا من هو شوكت هذا الذي فاجأ عمي اسمعين بزيارته ، لا يقول ذلك بشكل مباشر بل بطريقة تساؤلية استقرائية تتلاعب بالموضوع وتلتف عليه . وحين يعرف شوكت بنفسه ، يعود للتشكيك في المسألة بصيغة الجمع واستقراء مخيلة عمي اسمعين : (لو افترضنا أن الستيني هو شوكت بن مصطفى عبد الجبار مثلما ادعى بثقة أمام عمي اسمعين وزوجته فخرية ، بعد أن تناولوا طعام الغداء الخالي من اللحوم بناء على طلبه الذي بدا غريبا ، فإن من المستحيل أن يتعرف عليه أو يتحقق من صدق حكايته التي تصلح لقصص الخيال ، فهو لا يحتفظ بصور أو وثائق لذلك الأخ مصطفى ، الذي غادر القرية قبل حوالي عشرة أعوام من ولادته هو، ومات في الحرب حسب ما قال أبوه عبد الجبار ..) ص63 حفلت الرواية بالعديد من المشاهد الملحمية المؤثرة كمشهدخلوأسواق القرى والمدن من الشباب عام إعلان النفير العام عند اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وكذلك مشهد غزو الجراد في العام نفسه : (حجبت زوابع جحافله الشمس فبدت السماء غماما متحركا بلون التراب ، والأرض حصيرة منسوجة من أجساد الجراد ، وأثقلت الأشجار بعناقيد كثيفة من تلك الدويبة الماحقة ، حتى أن الأشجار في بيارة عبد الجبار أبو حلة تحولت إلى مجرد أعواد شاخصة في صفوف مجردة بلا أغصان أو أوراق أو ثمار) ص42 لقد أتى الجراد على كل شيء بما في ذلك التبن

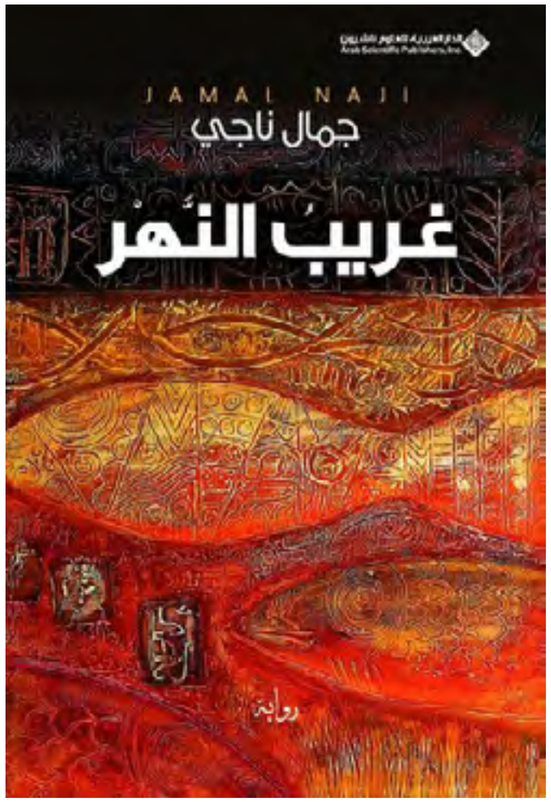

والحصر ، واستشرس حتى في مهاجمة الرضع في أحضان امهاتهم . فقاومه الناس بحفر الخنادق وقرع الطبول وكل ما يقدرون عليه . وفي ذلك العام تفاقم الفقر إلى درجة لم تشهدها البلاد من قبل ، فلم يعد في الحوانيت والمتاجر والمخازن ما يمكن أن يقتات به . كما حفلت الرواية بالعديد من المشاهد الطريفة والقليل من المشاهد الجنسية وحاول جمال قدر الإمكان أن يصور لنا ما يدور في دخيلة شخصياته ويصور نفسياتهم ، فقدم لنا عمي اسمعين وهو يواقع زوجته الثانية نجود في حالة غضب . لقد حاول جمال بشخوصه الكثيرة أن يغطي حقبة زمنية طويلة من حياة الشعب الفلسطيني حفلت بالكثير من الأحداث الإجتماعية والسياسية كان آخرها اتفاقية اوسلو.وعبر عن التحولات التي تمت في زمن الثورة ، منها ما كان تطورا إلى الأمام ومنها ما كان ارتدادا إلى الخلف . فشخصيات مثل شوكت وسفر وشعبان وجهاد وسهير وشهلة ورزاق وأخيرا خلود ، سعت إلى التحرر قدر الإمكان والإنفلات من أسر التحفظ والعادات والتقاليد ، بينما شخصيات مثل نجود زوجة عمي اسمعين الثانية ارتدت إلى التدين بعد تعرفها على نساء متدينات ، فأخذت تتنقب وترتدي الجلباب وتبشر بالدين ، إلى أن قرر " الصالحون والصالحات الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة .." أن يرشحوها عن الجماعة لانتخابات مجلس النواب! هذا الإرتداد إلى الدين عند بعض فئات المجتمع ممثلا بنجود، يشير ولو بشكل غير مباشر إلى فشل الثورة الفلسطينية وحركات التحرر العربية في تحقيق أي انجاز حضاري ينهض بمستوى حياة الناس ويحقق بعض آمالهم وتطلعاتهم . العم اسماعيل لم يتغير فيه شيء فهو الفلاح الأصيل ابن الأرض المعطاءة المحافظ على تدينه التقليدي والقادر على تقبل اختلاف الأجيال الجديدة عنه . حتى أنه يمزح متخوفا من ان يكون نصيبه من حوريات الجنة السبعين نسخا عن زوجته فخرية " فيأكلها في الدنيا والآخرة " كما سيأكلها أبناء حمولة أبو حلة ! الزيجات الكثيرة ومشاكل الطلاق أدت إلى تقاطعات وتشابكات بين أبناء الحمولة أدت في بعض الأحيان إلى أن يتزوج أحدهم من أخت له في الرضاعة أو فتاة محرمة عليه لصلة القربي هذا هو العالم الذي رسمه جمال في (غريب النهر). بحرفية متقنة وأسلوب مشوق. ومن أهم ما قالته لنا الرواية أن الفلسطيني مهما تغرب ومهما حمل جنسيات مختلفة لن يقبل عن وطنه بديلا حتى لو لم يعد إليه إلا جثة . وسيظل حلم العودة يراود الفلسطيني ما دام على قيد الحياة ، وقد تعود خلود يوما كما عاد شوكت لتبحث عن الكنز الدفين في العباسية . لقد قدم جمال ناجي لنا رواية ملحمية متميزة تستحق وبجدارة أن تتبوأ مكانتها في رأس الهرم الروائي الفلسطيني إلى جانب القليل والنادر من الروايات التي تبوأت رأس الهرم . لقد وجدنا أنفسنا أمام عمل أدبي ممتع أقل ما يقال فيه أنه "سفر الشتات الفلسطيني"

الخطوط البيانية للمسرح السوري
ظواهر وانعطافات 1960 - 2010

نجم الدين سمّان

انتقل المسرحيون السوريون من خيار مسرحي إلى آخر، بدءاً بالنوسان بين تجربتي: مارون النقاش وأبي خليل القباني. وسنجد التأشيرات المسرحية العالمية تتوالى، لتستقر عقوداً عند التجارب التي جلبها المخرجون المسرحيون السوريون، وقد درس أغلبهم في الدول الاشتراكية السابقة، فتمّ تداول أسماء وطرائق: ستانسلافسكي- مايرخولد- بريخت، خصوصاً.

سعد الله ونّوس

وبرغم انغلاق المناخ المسرحي السوري.. على ذاته لارتباطه بآليات النظام الشموليّ البعثيّ، بعكس المناخات اللبنانية والتونسية والمغربية المفتوحة مسرحياً على التجارب الأوروبية، خصوصاً الفرانكفونية منها؛ على الضفة الأخرى للمتوسط.. فإن مسرحنا السوري استطاع الاستمرار بجهود ذاتية ومبادرات فردية غالباً.. لذلك يمكن القول بأن مسرحنا سيظلُّ تحت التأسيس: تأليفاً - تمثيلاً - إخراجاً، ومرتبطاً بظواهر فردية، ما أن تغيب عن الساحة بالصمت أو الموت المبكر غالباً، حتى نشعر بثقل الفراغ الذي تركته. فمن الخيارات الإخراجية التقليدية التي عاد بها أوائل المخرجين السوريين العائدين من مصر: رفيق الصبان -أسعد فضة- خضر الشعار- حسين إدلبي - علي عقلة عرسان في حقبة الستينيات، إلى الخيارات الإخراجية التي عاد بها الدارسون في البلدان الاشتراكية: محمود خضور - شريف شاكر - وليد قوتلي - مانويل جيجي - فواز الساجر وآخرون.. جرى اختبارها جميعاً، وصولاً إلى مسرح الفرجة القائم على أجواء شعبية احتفالية، لم ينقطع القول بالتجريب.. المسرح الطليعي - المسرح الاحتفالي - المسرح التجريبي... الخ، وانعكس ذلك على النصوص المسرحية المحلية، فكان أن استلهم فرحان بلبل، لعبة بيراندييللو الشهيرة: المسرح داخل المسرح، مدماكاً لبنية نصّه "الممثلون يتراشقون الحجارة" 1975، قبل أن يتحوَّل إلى داعيةٍ ومُبشرٍ بالمسرح العمالي!. وفعل رياض عصمت العكس.. حين ابتدأ بنص تجريبي عبثي "هل حان وقت العشاء أيتها الأخت الدسمة" إلى نصوص رمزية تعبيرية "لعبة الحب والثورة" وصولاً إلى استلهام مفردات تراثية في ذات النسيج:

فواز الساجر

السندباد البحري 1988 - ليالي شهريار 1995. بينما اختار المسرح القومي بدمشق: مقام إبراهيم وصفية لوليد إخلاصي 1980، نصاً لا يُشبه نصوصه التجريبية في شيء، ويُشير إلى انعطاف آخر نحو الرحم الشعبي المحليّ، وعلى هذا المنوال جرى انعطاف عبد الفتاح قلعجي من نصوصه التي سمَّاها بالطليعية، مع كونها إعادة إنتاج للعبث الغربي في مناخ شرقي!. حيث قدم له المسرح القومي مسرحيته "العرس - الحلبي طبعاً!" عام 1987 وهي احتفالية شعبية غنائية مُسرّحة، ليعود كراكوزوعيواظ على يد عبد الرحمن حمادي عام 1994، ويتوِّج كل ذاك تامر العربيد مع نصّ "السمرمر" عام 1996 لناصر الشبلي، وفي بياع الفرجة من تأليفه وإخراجه عام 1999، رافعاً يافطة مسرح الفُرْجة الشعبي الاحتفالي بكل مكوناته: حكاية وأحداثا ومنطوق شخصيات ونمذجة لها وغناء وأجواء احتفالية.. كان زيناتي قدسية الممثل الذي صار مخرجاً قد خاض مثلها مع نصوص محمود دياب، قبل أن يتخذالمونودراما ملاذاً له لسنوات عديدة!. فيما قدَّم جواد الأسدي رؤية جديدة للحمة جلجامش عام 1986، بعد أن كان إيليا قجميني قد استقاها في عملٍ لفرقة المسرح الجامعي بحلب 1982، تأسيساً على خيارات "أوجينوباربا" الإيطالية واستنساخاً لها.. حيث بدأت مع عقد الثمانينيات تصل تأثيرات مسرح ما بعد الحداثة الغربي: غروتوفسكي - أوجينوباربا.. قجميني المذكور أعلاه، وغيرهما. وسنجد الممثل \ المخرج جهاد سعد في "كاليغولا" عام 1986 يبحث عن ذائقته الإخراجية، التي وجدنا تجريبيتهاتتكرَّس في "أواكس" عام 1993، لينعطف بعدها إلى تجريب أكثر التصاقاً بالهموم اليومية للعرب داخل أسرابهم، باستحضاره لنص محمد الماغوط: خارج السرب.. ثم لايلبث حتى يعود الى مأثوراته الاغريقية: أنتيغون.. وسواها. وأمسكالممثل \ المخرج غسان مسعود بآخر الخيط الذي قد أمسك به المخرج السوري الكبير فواز الساجر في "سكان الكهف" من حيث عمل غسان مه استاذه في هذا العرض؛ ليدخل في تجربة "كسور" عن أنطون تشيخوف وكأنه يحاول اعادة ما أثر فيه أستاذه. حيث كانت "سكان الكهف" عام 1988، تبدو وكأنها لحظة انعطاف في مسيرة المسرح السوري، من موضوعاته الكبرى إلى الاهتمام بالتفاصيل الإنسانيةعلى الخشبة، وهي كذلك لحظة انعطاف في مسيرة فواز الساجر، لا ندري ماذا كان

ديكور مسرحية سكان الكهف لفواز الساجر

سيليها وقد خطفه الموت مبكراً وبشكل مفاجئ. فهل كان فواز الساجر يبث رسالته الأخيرة عبر عرضه المسرحي الأخير، وتحديداً في آخر ثلاثين ثانية لنشعر نحن: سكان الكهف.. مثلين ومتفرجين، أن المسرح سينفجر بنا من أساساته ومن تحت مقاعدنا ومن وراء الكواليس، وأن سكانه سيخرجون من أحلامهم المسرحية إلى التشرُّد والصمت والهامشية!.

وكان الممثل \ المخرج غسان مسعود قدعاد الى تشيخوف دون ان يذكراسمه أيضا في بروشورعمله: الديبلوماسيون..تاركا حبل الارتجال لممثليه حتى وقعوا في فخّ التهريج اللفظيّ والحركيّ.

ثمة ظواهر.. بدأت في المسرح القومي بدمشق دون سواه، ومن ذلك.. ظاهرة المؤلف/ المخرج مع علي عقلة عرسان في "الشيخ والطريق" عام 1968، ليجعلها ثلاثاً بائنة مع نَصَّية: الغرباء ـ 1973، الأقنعة ـ 1978، على الرغم من كثافة وجود المخرجين آنذاك!.

ومثلهُ.. فعل رياض عصمت مع نصه "ليالي شهرزاد" عام 1995.

ليفتح أسعد فضة ظاهرة المخرج/ المؤلف في: حكاية بلا بدايه 1985، تلاه فيصل الراشد في: التوقيع: أخوكم في الانسانية ـ 1988، وعماد عطواني في: أبيض وأسود من العام ذاته، ثم وليد قوتلي في: بدون تعليق 1996، وآخر.. اسمه: هادي المهدي في: دائماً وأبداً من العام ذاته، وتامر العربيد في: بياع الفرجة 1999.

وكان جهاد سعد قد افتتح ظاهرة الممثل/ المؤلف/ المخرج.. معاً، في: "حكاية جيسون وميديا ـ 1989، وثانية في: أواكس 1993، تلاه هشام كفارنة في: بيت الدمى ـ 1999، وغسان مسعود في: كسور ـ عام 2000، من غير إشارةٍ أن النصّ مستوحى من تشيخوف و.. عنه، كما قد فعل فايز قزق في: النوّ ـ 1993، عن موليير، وماهر صليبي في: صمت الكلام ـ 1997، عن تشيخوف.

وظاهرة "عن..." هذه، كانت قد بدأت بيافطة "إعداد.." ثم "إعداد وإخراج" يقوم بها المخرجون عادة.. لأسباب مالية أولاثم.. فنية!.

وقد بلغ ازدراء الممثلين/ المخرجين بالنصّ المسرحي إلى درجة خُلُوِّ عروض المسرح القومي بدمشق ونادي المسرح فيه من أي نصٍ أدبي مسرحي محلي، بين ثلاثين عرضاً خلال 1997 ـ 2000!.

تكاد الثلاثين عرضاً الأخيرة، تشبه أول ثلاثين من عروض المسرح القومي بدمشق في سنوات تاسيسه الاولى في ستينيات القرن الماضي، من حيث أن الأولى احتوت عرضين

ممدوح عدوان

عن نصين محليين كتبهما ممثلان سوريان : أحمد قنوع ـ عبد اللطيف فتحي، وكأن الدائرة تعود إليمُبتداها!.

وقد توالى الممثلون/ المخرجون بكثافة في عروض قومي دمشق ونادية المسرحي، وكان زيناتي قدسية قد سبقهم آتياً من فرق الهواة المسرحية بعد خبرة طويلة، ثم توالى خريجو المعهد المسرحي..من قسم التمثيل: كهشام كفارنة ـ أيمن زيدان ـ فايز قزق ـ بسام كوسا ـ محمد آل رشي ـ كمال البني ـ عبد المنعم عمايري وآخرين.

وفي ظاهرة طريفة أخرى.. تمَّ استدعاء شخصيات مسرحية تراجيدية كلاسيكية من مضاجعها في نصوص لمؤلف واحد، ومن تأليف جماعي ارتجالي، كما في: هاملت يستيقظ متأخراً لممدوح عدوان، ليتكرَّر هذا كموضة رائجة: كما في: سرير ديزمونة ليوسف الصائغ، وفي: هاملت بلا هاملت لخزعل الماجدي، ثم في: إسماعيل هاملت لفرقة الرصيف، وفي: هاملت والزير سالم لرمزي شقير، وليس أخيرا في: تيامو لرغدا شعراني مع سميّه الشكسبيري روميو، حتى غدا هاملت الاسكندنافي مواطناً سورياً.. مثلنا!.

وتمّ تحويل قصص إلى نصوص مسرحية، وكانت بداية ذاك في عرض اسمه: من الأدب العربي عام 1972، وفي حقل الإخراج: أتاسي ـ عويتي، حتى يحوّل سعيد حورانية "قصة موت معلن" لماركيز إلى عمل مسرحي عام 1985، ثم عن قصص لكوليت بهنا في "شوية وقت"، ثم لها ولحيدر ولصليبي في: تخاريف ـ 1999، من إخراج ماهر صليبي، ولم

يختتمها جوان جان عن قصة المعطف لغوغول عام 2000!.

وكان أن استفحلت المونودراما على مسارحنا، وهي في بنيتها ومعمارها قصص بلغة المتكلم في لبوس مسرحي، وكان ممدوح عدوان بالتعاون مع زيناتي قدسية قد بدأها.. حتى ذهبت مثلاً يُحتذى، خصوصاً أنها تستدعي كلفة إنتاجية أقل، ويسهل انتقالها بممثل واحد ""أو... ممثلة".

بينما كان خيار فواز الساجر في "يوميات مجنون" مع أسعد فضة ممثلاً وحيداً على الخشبة، خيار مخرجٍكبير مع ممثلٍ كبير راكم تجارب كثيرة، وكانت تجربة وحيدة، وربما كان سيقع في النمطية لو.. أنه كرَّرها؛ لكن المخرج البارع لا يقع في تكرار نفسه مرتين؛ وما أقلّ البارعين في مسارحنا.

ثلاثة نماذج في باب الشغف بالتفاصيل .

تبدو العودة إلى تشيخوف بالتحديد.. خياراً مسرحياً ناجزاً، كلما كان الخلاص الجماعي أبعد منالاً وأكثر استحالة، بحيث ينعكس ذاك على دواخل الأفراد، فينكفئون إلى دواخلهم ليغتربوافي متاهاتها،مُنكسرين في صمت عزلتهم الطوعية!.

هكذا.. تأخر ظهور تشيخوف في عروض المسرح القومي بدمشق حتى عام 1997، حين استلهمه ماهر صليبي لعرضه "صمت الكلام" ثم غسان مسعود لعرضه "كسور" عام 2000.

وما كنا بحاجة إلى تشيخوف قبل ذاك، فقد كُنَّا مُنشغلين بموضوعاتنا الكبرى، وبعبء تواريخنا، وبهزائمنا، وبأسئلة حائرة في راهننا.. عن مستقبلنا الجمعيّ، لم نَلْقَ لها جواباً، منذ مطلع ما يُسمى مجازاً "نهضة العرب الحديثة"!.

ثمّ ان "الإنسان الصغير" الذي كرَّس له تشيخوف جلَّ أعماله، كان مضمراً في إنكارنا لوجوده فينا، وقد تلاشى في جموعنا قبل أن يكتشف أنها تلاشت وتركته وحيداً في مواجهة "صمت الكلام" بعد سيل من بلاغات الخطابة، وفي مواجهة "كسور" دواخله بعد انكسار الجماعة!.

وليس المسرحيون بمعزلٍ عن هذا، فهم.. أيضاً، كائنات تشيخوفية بامتياز! لهذا.. أيضاً، استحضرت فرقة عراقية مسرحية في المنفى نصّ تشيخوف "عنبر رقم6" من اخراج جواد الاسدي، لتكتشف فيه عنابر منافيها.

وهكذا.. أيضاً، أعادت فرق مسرحية أوروبية عديدة، جُلُّها من الهواة، اكتشاف تشيخوف كإلهٍ في انتظارها، بعد أن مكثوا طويلاً في انتظار غودو، الذي يبدو أنه لن يجيء مُذْ أعلن نيتشه: "موت الإله"، ثم أعلن مريدوه من النيتشويين الجدد: "موت الإنسان"، ثم أعلن نقادهم "موت المؤلف" وديمومة الكتابة في نصوص لاحقة عن نصوص سابقات.

من كل هذا، أو.. بعضه فحسب، قرَّر غسان مسعود أن يُضمر نصَّ تشيخوف في عرضه "كسور" ليقول بنص لاحق عن نص غائب، ينقل فيه ريف روسيا القيصرية الشاسع على أجنحة المجاز، وبواسطة إزاحة الدلالة، إلى ريف سوريا الضيق في هجرة مدنية مُعاكسة!.

هكذا.. وضع "الكائن الصغير" الذي في غسان مسعود يده على كسوره، التي هي كسورنا وانكساراتنا، فاستقطب عرضه بنجاح.. شريحةً دخلت إلى الصالة لتجد كينونتها مُشخَّصةً على الخشبة، وهي شريحة من بقايا جمهور غائب/ حاضر، بل.. هي نخبة هذا الغياب!.

د.رفيق الصبّان

على هذا النحو.. يأتي عرض "صدى" من إخراج عبد المنعم عمايري، عن نصٍ لعمايري ذاته، ليخوض في العلاقة الأزلية إيَّاها بين المرأة والرجل، بين زوجين استنفذا الحبَّ داخل الزواج؛ أول مؤسسات التاريخ الاجتماعي، ليجسّدها في زمن مسرحي مُستقطع من أزمانها، مُستنسِخاً شخصيتي عرضه من الشريحة ذاتها، من باب التجريد، بينما حالة فقدان التواصل هي التي تمَّت نمذجتها، ولهذا استقطبت "صدى" بنجاح أيضاً.. ذات الشريحة، من نخبة النخبة التي ما تزال ترتاد مسارحنا. هكذا أيضاً... لم يكن لبسام كوسا أن يختار لعمله الإخراجي المسرحي الأول "عشاء الوداع" سوى من تلك النصوص الشغوفة بالتفاصيل، وأن يكون د. نبيل حفار مترجم هذا النص الساخر الكوميدي إلى العامية، في رهان على وجود عاميتين: تلك المبتذلة التي يتخذها المسرح التجاري لغةً لعروضه، وهذه العامية السَلِسَة الراقية، والتي طَاوَعَتْ إلى حدٍ بعيدٍ مَنْطوق شخصياتها، عِبْرَ انزياح العلاقة الأبدية بين الرجل والمرأة عن دلالتها، والحب عن موضوعه ومعناه، مقتنصاً المفارقة من انهماك شخصياته في علاقات خاطفة ومزدوجة، بعد أن صار "الحب" مثل كل الأشياء على طاولتي العشاء لمجرد استهلاكه، خصوصاً حين تتكشف الشخصيات عن ذواتها وأهوائها، وتتقاطع وتتداخل لنكتشف أن الطاولتين هما طاولة واحدة، وأن المدعوين إليها وجوه مُجردة هي الأخرى، في حين يتولى المناخ الشَرْطيُّ لهذا العشاء الأخير مهمة نمذجة الحالة، ويأخذ اسم العرض دلالته خصوصاً حين تتكرَّر مفردة "الخيانة" في العرض وتتوالى. بينما تلمَّسنا في عرض "كاريكاتير" لرافي وهبة، أطيافاً من ظلال تجربة زياد الرحباني المسرحية ونصوصه الارتجالية وأغانيه، تمّت إعادة إنتاجها بحساسية جديدة، وبموهبة لافتة.. لم تُثنها الظروف عن المغامرة. هذه العروض.. على تنوّع أدواتها، تلتقي جميعها عند مفترق مأزقنا المسرحي الراهن، بعد عناوينه العريضة، وكليشيهاته، وخياراته المستعارة، وموضوعاته الكبرى، لتبحث عن صيغ فنية جديدة، وعن جمهورها الغائب/ الحاضر.. لكنها تستوحي مناخاتها ومفرداتها من تفاصيل شريحة في هذا الجمهور.. فحسب، تستدرجه بها ثانية إلى المسرح، فإذا جمهورها هو النخبة ذاتها، التي رافقت عروض المسرح القومي منذ تأسيسه، أو.. بقاياها، ولكن.. بعد أن تغيَّرت مصائرها وهواجسها وأحلامها.. بتغير أزمانها. ثمة.. في وسطنا المسرحي اليوم، ما يُشبه التطيرَّ من مُقَاربة

ديكور سمية مع ابي خليل القباني اسعد الله ونوس

وليد إخلاصي

أية موضوعة كبرى، بعد انتقالهم من قناعة أنه يمكن تغيير العالم بمسرحية، أو.. البدء بتغييره، وفي أقلِّ ما يمكن: المساعدة على تغييره، إلى قناعة أن المسرح مجرَّد عزاءٍ لانكسارات الفرد.. وليس غاية اجتماعية، ومتعة بصرية ولذة فنية خالصة. ومثل هذا التطيرُّ رأيناه في عرض "ساعي بريد نيرودا" الذي أعدَّه ممدوح عدوان عن رواية لأنطونيو سكارميتا، حيث تمَّ اختزال كل ما يمسُّ العامّ والجماعي إلى مجرد جملة عابرة، أو كادر حركي لا يتعدى انخطاف الفلاش في الكاميرا: اعتراض شرطيين لخطوات ماريو ساعي البريد". ورغم إضافة اسم نيرودا إلى العنوان، إلا أنها كانت إضافة لفظية، لأن نيرودا في هذا العرض تحوَّل بالتجريد، الذي أَضْفَاه غسان مسعود أيضاً في تجسيده، إلى مجرد شاعر، بل.. إلى أيِّ شاعر!. وقد فاجأني العرض حين قدّم لي إجابة عملية على سؤال نظري كان قد صار ناجزاً قبله: إلى أيّ حدٍ سيقتضي الشغف بالتفاصيل تكريس الذاتي على الموضوعي، إزاحة المجتمع وتطويب الفرد، والإطاحة بكلّ المهاد الاجتماعي ـ السياسي للشخصيات؟! حتى رأيت في جدلية تحوُّل ساعي البريد "ماريو"... جدلية مقلوبة على قفاها، على الرغم من كون صُنَّاع العرض جدليين بالفطرة والمشاكسة، وعشاق جدالٍ ومجادلةٍ! وقد رأيت فيما يرى العالم، أن عدوان وخضور ومسعود، قد وجدوا أنفسهم في حلقة من طلاب المعهد المسرحي، وقد أعاد الطلاب إنتاج ساعي البريد. مُستبدلين شاعراً مثل نيرودا، بشاعر مثل اللورد بايرون، ذاهبين في ارتجالهم إلى لحظة تحوُّل ماريو!، بعد دخوله تجربة الحب والشعر معاً. فهل كان ماريو سيخرج ـ كما في الرواية والفيلم ـ من خياراته المغلقة في قريته، إلى خيارات من يُشبهونه على امتداد تشيلي كلّها، أم.. أن ماريو اللورد بايرون، سيصير ساعي ملذاتٍ وربما.. قوَّاداً!. هل الشعر والحب معزولان عن سياقهما، يستطيعان إنجاز هذا التحوّل؟!. يُفيدنا التاريخ عن طُغاةٍ يعشقون الشعر وقد وقعوا في الحب، لكنهم لم يكفُوا عن كونهم.. طغاةً!. ويشير بابلو نيرودا في مذكراته إلى أن غالبية التشيليين الذين صوَّتوا له في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية، لا يفهمون أشعاره، لكنهم يحفظونها عن ظهر قلب، رغم كونهم أميين!. فهل مَرَدُّ هذا إلى قوة قصائده الأسطورية، أم "إلى خيارات صاحبها؟!. يخاطب عرض "ساعي بريد نيرودا" أيضاً نخبة النخبة إياها، وسيقول لي كثيرون: ومن قال أن المسرح لغير النخبة منذ سوفوكليس وحتى أيامنا، بينما كانت الرعاع تحتشد لاحتفالات عشتار وباخوس الماجنة!. على تأسيسهم ذاك.. فليذهب "رعاعنا" إلى عروض التهريج وهزّ الأرداف بالتنانير القصيرة، وإلى نكات ما تحت الزنار، وتفقيس الغلاظة والتفاهات.. رافعين شعار "طنِّشْ.. تعيشْ"، ليبدأوا: سيرة وانفتحت، هامسين في مقاعدهم: استروا ما شفقوا منَّا، هازجين لمنتخبنا في أولمبياد كوريا واليابان: بوسة للطابة.. بوسة للحبابة، هاتفين بكل حناجرهم: طاب الموت.. يا عرب، ذاهبين إلى صناديق الاقتراع ليُصوِّتوا لصالح الحكومة، بعد حضورهم التهريج المسمَّى: ضد الحكومة!. تبقى معضلة الجمهور الغائب/ الحاضر.. قائمة، خصوصاً في عصر العولمة، الذي بلغتنا بوادره مع عولمة الصورة المرئية ووسائل الاتصال، وهو ما يُرتِّب علينا الدخول في عوربةمعولمة هي ابنة لحظتها واستهلاكها وغرائزها، وهو ما نجح مسرحنا التجاري السوري والعربيّ، في تشكيله قبل العولمة.. بكثير!. من ناحية أخرى.. تتفاقم عُزْلة صُنَّاع الفن المسرحي عن الناس، أو يتكرَّس عجزهم عن هذا التواصل.. معكوساً عن حالة العجز البنيوية في مؤسساتنا ومجتمعاتنا، بينما يتشدَّق دهاقنة المسرح التجاري بأرقامهم وباستمراريتهم.. وكأن أعداد جمهوره دليل على صحَّة خياراته وفنية أساليبه وخبرته المتراكمة في تنفيس الدواليب!. لاأذكرمن الذي قال: أعطوني طبّالاً و نَسْنَاساً و راقصة في ساحة عامة، وسأجعل حركة السير تتعطَّل في أية عاصمة عربية!. وقد راهن على هذا.. شرطة السير، أيضا !.

ملف المسرح

الزمن... في العرض المسرحي

خزامى رشيد

يعتبر مفهوم الزمن فكرة ذهنية خالصة باعتباره مجرد و غير ملموس ، وقد عد تحديد الزمن من أكثر المسائل إشكالية وتعقيدا، فتنوعت وتعددت تعريفات مفهوم الزمن وتداخل في تعريفة كل من المفهومين العلمي والفلسفي ، حيث تشرح علوم الفيزياء أن ظهور المادة بدأت مع تفاعل الحقول الرئيسية للطاقة وأولها التتابع الوجودي ، الجاذبية ومن ثم التفاعل القوي ويلي ذلك التفاعل الضعيف وصولا إلى حقل الكهرومغناطيسي ، حيث ظهر الكون وانتشر فكما يؤكد علم الفيزياء أن حقل الجاذبية هو الذي يحدد الزمان والمكان ، فعندما ينجذب عنصر بآخر يتجه إليه ويلتصق به مع بداية حركة العنصر الأول وتوجهه إلى العنصر الآخر حيث تبدأ حركة الزمن من نقطة الانطلاق إلى نقطة الوصول فكما ظهر الزمان مع الحركة الأولى في الكون ظهر المكان أيضا ، وقد حددت علوم الفيزياء بعض المقاييس من أجل احتساب عملية نشوء الكون هذه المقاييس تختلف بالتأكيد عن مقاييس التجربة والخبرة الإنسانية. من هذه المقدمة العلمية أردنا التطرق لماهية مفهوم الزمن وأهميته في الحقل الإنساني وخصوصا المنتج الثقافي والحقل الإبداعي منه ونقصد به كل أنواع الفنون وأهمها حقل الفن المسرحي كونه أبو الفنون جميعا، وعودة على بدء وبالحديث عن القياس الزمني الفيزيائي ،ولما للزمن من أهمية كونه عنصر أساسي من شروط فن المسرح الذي لا يكتمل بدون زمان -مكان مثل -متلقي نجد أن احتساب الزمن فيزيائيا يقابله بالمعنى المسرحي مقياسا خاصا فهناك زمن التأليف

و وزمن الكتابة وزمن العرض، وزمن التلقي الذي يقيس زمن المسرحية بالمدة التي يتلقاها الجمهور من خلال آلية السرد المقترحة في العرض المسرحي ،فالزمن المسرحي وإن التقى مع الزمن الفيزيائي بمفهوم القياس إلا إنه يختلف معه أيضا بماهية القياس ، فالقياس الفيزيائي محدد رياضيا أما القياس الزمني للعرض المسرحي فهو قياس نفسي شعوري يتعلق بعدة أزمنة مختلفة، كزمن التأليف وزمن الكتابة ،وزمن الحدث وزمن العرض، وزمن التلقي،حيث يتشظى في العرض المسرحي التحديد الفيزيائي الرياضي ليحل محله زمنين مركبين معقدين ،هما الزمن الواقعي والزمن المتخيل. وللبحث في مفهوم الزمن المسرحي لابد من التطرق لمفهوم الزمن فلسفيا للولوج في تحليل مفهوم الزمن مسرحيا ، من الفلاسفة الذين بحثوا في معنى ومفهوم الزمن وهم كثر ولا مجال لحصرهم في بضع سطور ،ولكن بما أننا نتحدث عن الفلسفة والمسرح لابد أن نستوقف أولا عن الفيلسوف اليوناني أرسطو حيث يرى في كتابه "فن الشعر" الذي يبحث في فن المسرح فيرى أن الزمن في الدراما شيء حسي

أكثر منه مثالي ، فالزمن برأيه مرتبط بسرعة وببطء الحركة أي الفعل، ويعتبر أفلاطون أن الزمن أزلي أبدي وأن زمننا الأرضي ليس إلا ظل لزمن حقيقي أبدي ، ويتفق الفيلسوف العربي ابن رشد مع أرسطو في تحليل وتفسير الزمن فلا وجود للزمن بمعزل عن الحركة، ويرى القديس أوغسطين أن الزمن أشمل من المسافة والمكان لعلاقته بالعالم الداخلي للانطباعات والأفكار ، ويرى الفيلسوف الألماني كانط أن الزمن هوالصورة المميزة لخبرتنا وهي أعم وأشمل من المكان ،ويرى هيغل أن الزمن هو روح وماهية، وسواءا تعددت المفاهيم وتنوعت فإنها تلتقي جميعا بأن الإنسان والفعل الإنساني هو المقياس الفعلي للزمن البيولوجي والزمن المثالي الأبدي ، فحياة الإنسان لها بداية ووسط ونهاية أي أنها محددة فيزيائيا ، كالنص المسرحي الذي له بداية ووسط ونهاية ، إلا أن الزمن الفيزيائي الإنساني يقابله أيضا زمنا مثاليا يتجلى بمفهوم الأبدية والخلود لطالما أرق مفهوم الزمن الفيزيائي الإنسان، فقد وجد بديلا مثاليا عنه تجلى بابتكار فكرة الخلود والأبدية والتي دأبت الكثير من الأديان والطقوس والأساطير من تفعيلها وتخفيزها عبر فكرة تحيين الزمن أي جعله زمنا ثابتا مقدسا ليكون الإنسان معاصرا وفاعلا في وجوده الكوني ، وقد ابتكر الإنسان منذ القدم الطقوس الدينية للحفاظ دوريا على الخبرة الإنسانية ولربط الإنسان بزمنه الأول الذي يمكن أن يلجه الإنسان دوريا بواسطة الطقوس لخوف الإنسان من الانقضاء والتلاشي ولإدراكه محدودية الزمن جعل من الطقس والدين والأسطورة مجالا حيويا لسيطرة مفهوم

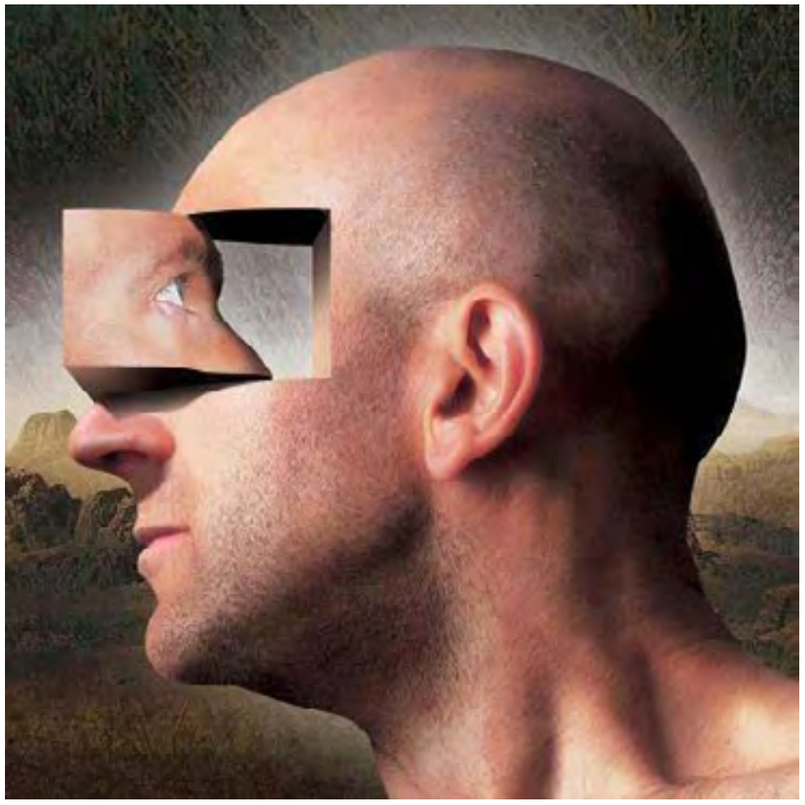

الاستقرار الذي يتشابه مع استقرار الآلهة. إلا أن تطور الفكر الإنساني عبر القرون جعل الوعي الإنساني بالزمن يتغير حيث تكيف مع المفهوم العقلاني لماهية الزمن ومن هنا بحثت الدراما منذ انطلاقتها باختزال مفهوم الزمن عبر الفعل الدرامي المكون الأساسي لمفهوم زمن النص المسرحي المفعل بزمن العرض المسرحي. فالزمن المسرحي له علاقة وثيقة بالزمن المقتطع من الواقع حيث تقوم المخيلة المسرحية المبدعة بابتكار زمنها الخاص عبر تداخل ديالكتيكي بين الزمن المعاش والزمن المتخيل وزمن العرض الذي ينتمي إليه المشاهد من خلال بناء زمن الحكاية حيث يشكل السرد أهم عنصر فيها كوسيلة من وسائل اتصال بين العرض المسرحي والمتلقي ، حيث يقوم المتلقي في مدة زمن العرض بتفكيك الإرجاعات الزمنية التي يطرحها النص المسرحي سواء كان العرض ماضويا أم حاضرا أم رؤويا مستقبليا، حيث يتعرف المتلقي على آثار الزمن في العرض المسرحي المشكل من المخيلة الإبداعية للكاتب والمؤلف صانعا العرض المسرحي من خلال التعرف على زمن بناء الحكاية المسرحية أو النص المسرحي، عملية التعرف تختلف وفقا للأشكال المسرحية المقترحة ففي النصوص الكلاسيكية النص المسرحي له بداية ووسط ونهاية وزمن المتلقي وآثار الزمن التي توضح مقولة المؤلف والتي

أما في الأشكال المسرحية الحديثة فإن الأمر يختلف كون الزمن في حالة تحول وصيرورة دائمة يتعرف عليها المتلقي من خلال الفعل المسرحي المجسد على خشبة المسرح حيث يشكل الزمن المسرحي اللبنة الأساسية في إيضاح مقولة النص. أما كيف يتعامل المخرج صانع العرض الأساسي مع الزمن فهذا سؤال يقودنا إلى البحث في مضامين وأشكال الفرجة المسرحية، وخصوصا في عصرنا هذا الذي يقدم على خشباته اليوم بوتقة متنوعة ومتعددة من الأنماط المسرحية بدءا من المسرح الكلاسيكي إلى المسرح الواقعي إلى المسرح الملحمي إلى مسرح العبث وصولا إلى أشكال جديدة وأنماط جديدة من المسرح التجريبي . فالمسرح الكلاسيكي يتعامل مع مفهوم الزمن ضمن منظومة محددة فيتبع العرض المسرحي خطا تتابعيا ،بداية- وسط- نهاية، أما المسرح الواقعي فيتعامل مع اللحظة الراهنة أي الزمن الحاضر وراهنيته سواء كان الفعل المسرحي يسرد ماضيه أو حاضره إلا أن اللبنة الأساسية في المسرح الواقعي تعتمد كليا على اللحظة الحاضرة وواقعيتها، أما المسرح الملحمي فيتعامل مع الزمن ضمن مفهوم العلاقة الجدلية بين زمن الحدث تختزل في آنيتها الزمن الماضي والزمن الرؤوي أي المستقبلي من خلال فكرة التغريب . أما مسرح العبث فالأمر مختلف حيث يقوم المتلقي بتفكيك التداعيات المتواترة في النص المسرحي والتي لا يحكمها في أغلب الأحيان ناظم زمني محدد، أما المسرح التجريبي حيث تختلف بالطبع كل تجربة عن الأخرى حيث تكون مهمة المتلقي أصعب من غيرها في العروض الآنفة الذكر فيقوم المتلقي بتفكيك دلالات وسيمياء العرض المسرحي وإرجاعاته الزمنية وإسقاطاته المتنوعة سواء كانت تداعيات أو خواطر أو نبش في الذاكرة من خلال عملية الفلاش باك أو الآثار الزمنية على الحياة النفسية الداخلية للممثل وما يتبعه من انفعالات ومشاعر ومنولوجات داخلية متأثرة بالزمن وآثاره سواء نبشتها الذاكرة أم رصدتها نافذة الفعل المسرحي المنفتحة على تلون الأزمنة. وأي كانت الأشكال والأنواع المسرحية تتعمل مع مفهوم الزمن بأساليب وطرائق مختلفة ، إلا أننا في عملية التلقي نتعرف على زمن فني إبداعي هو نتاج تجربة الحياة المعاشة حيث يشكل الزمن إكسير الزمن الإبداعي الذي يخلقه عناصر متعددة ،مؤلف – مخرج- ممثل- متلقي سواء كان زمنا ماضويا ،أم واقعيا حاضرا ، أو زمنا رؤيويا ، حيث يتداخل في مدة العرض حقائق عن الوجود البشري الإنساني مضافا إليه الشخصية التي يجسدها الممثل فيلتحم في أدائه ماض الشخصية حاضرها ومستقبلها من خلال اللحظة أو المدة الزمنية للعرض المسرحي التي تختزل الأزمنة جميعا عبر فن اللحظة التي يقترحها طقس الفرجة المسرحية التي يشكلها عالم المسرح بكل ما يحتويه من أدوات وعناصر الفن المسرحي بدءا من الممثل وجسده إلى الحركة ، الصورة والسنوغرافيا وعناصرها الضوء واللون والتشكيل إضافة إلى الموسيقى فيتشاركو جميعا في خلق فضاء زماني خاص بالعرض المسرحي يمتلك خصوصية الحرية في التحرك في فضاء زماني ومكاني يعبر عن نتاج التجربة الإنسانية التي تختزل في راهنيتها تاريخ الفعل الإنساني ماضيه حاضره ومستقبله التي يخلقها زمن الذاكرة وزمن اللحظة الراهنة التي تستشرف عبر زمن الحلم والرؤى الهلامي مآل الإنسانية نحو الأفضل والأجمل والأبهى رغم غموض والتباس الزمن الحاضر الذي يستشرق من خلال الدراما آمال الزمن المستقبلي الحالم الذي يحاول في مدة زمنية قد لا تتجاوز نصف ساعة هي أقصر مدة عرض التحرر نهائيا وكليا من ثقل وضغط ووجوم زمن الماضي والحاضر الذي قد يكون سنينا وأعواما وحتى قرون.

من فنون الثورة السورية 2011 - 2013

Dawn of freedom in Syria

UNHCR

SULAFA HIJAZI

ما أجمل الثلج عندما تراه من نافذة غرفتك الدافئة
وما أبشعه عندما يحاصر خيمتك البائسة!

السوريون يفرضون إيقاعهم الخاص على الحياة اليومية في - المفرق - الأردنية !

خالد عوّاد الأحمد

لم تكن مدينة المفرق (شمال الاردن)التي تخاصر البادية الاردنية مقصداً للاجئين السوريين ولكنها الأقرب الى الحدود السورية مع مدينة الرمثا وأربد حيث تسكن آلاف العائلات اللاجئة التي هربت من جحيم الحرب وشبح الموت في هذه المدينة التي يعيش فيها أكثر من 2500 عائلة أغلبهم من حمص ودرعا. أحدثَ اللاجئون السوريون ما يشبه « الزلزال « الديموغرافي، ولذلك حينما تسأل أي أردني عن بيت للإيجار مثلا تجده يقول لك بحنق وتأفف: « ما خلّا السوريين إلنا شيء « فيما يرى آخرون أن المدينة شهدت انتعاشاً اقتصادياً وحيوية لم تكن مألوفة من قبل وبالذات أن المفرق كانت مدينة منسية ومهملة من مختلف الجوانب، وخلال سنة ونصف تحولت هذه المدينة الفقيرة البسيطة بأبنيتها وشوارعها الى» مدينة» سورية بامتياز تعج أسواقها بالباعة السوريين والمحلات التي تقدم الطعام السوري والحلويات السورية والخبز السوري، وحيثما توجهت ترى أسماء سورية للمحلات والمتاجر والمطاعم من» الوردة الشامية «إلى « المطعم الشامي « و من» قلعة حمص « إلى بوابة حلب « ومن « سوق الحميدية « إلى « نجمة سورية «

فندق اللاجئين السوريين

أول ما يلفت نظرك في مدينة المفرق وجود فندق ضخم خصصه صاحبه للاجئين السوريين بأسعار منخفضة بالنسبة لأجور المنازل. ويأوي الفندق الذي أطلق عليه صاحبه الحاج " أبو علاء الدحلة" اسم فندق اللاجئين السوريين أكثر من خمسين عائلة سورية من مختلف المدن السورية تسكن كل واحدة منها في شقة فندقية مفروشة عبارة عن غرفتين ومنافع وإطلالة جميلة على وسط المدينة بأسعارمنخفضة مقارنة مع أجور المنازل المرتفعة عموماً في المفرق.

كرابيج حلب

الجامع الكبير معلم هام من معالم مدينة المفرق وأهم نقطة علاّم في المدينة وغالباً ما تجد داخل باحة هذا الجامع وأمام بوابته الجنوبية باعة " الكرابيج (كرابيج حلب " والمشبّك" و" العوامة " و " غزل البنات " و" البليلة " و" القطايف السورية" و" قطرميزات " المكدوس السوري الذي يتم صنعه في مخيم الزعتري أولدى العائلات السورية التي تسكن خارجه . وأنت تتأمل هذا الكرنفال السوري بامتياز لا يفوتك ان تلاحظ ان الكثير من السيارات المارة العمومية والخاصة تحمل أرقام واسماء مدن سورية – درعا – دمشق – حماة استطاع أصحابها أن يفروا بها من جحيم الحرب الدائرة هناك لتكون عوناً لهم في التنقل

بابا عمر في المفرق !

الظاهرة اللافتة في تأثير السوريين وفرض إيقاعهم الخاص على الحياة اليومية هنا هو أسماء المحلات التي تبدو وكأنها تربط اللاجئين السوريين - الذين يعيشون فيها واقعاً طارئاً -

بوطنهم الأم الذي يعاني مأساة حقيقة . اذ تنتشر في أنحاء مختلفة من مدينة المفرق محلات وبقاليات أحب أصحابها أن يشاركوا في الثورة السورية بطريقتهم الخاصة فأطلقوا عليها أسماء مدن وقرى ومعالم سورية مثل (بابا عمرو- قلعة حمص - قلعة حلب - حمص القديمة- ساعة حمص - حوران - بلاد الشام) واللافت للنظر في هذه الظاهرة أن بعض أصحاب هذه المحلات والبقاليات أردنيون مما يدل على عمق الإرتباط الروحي والإنساني بين الشعبين الاردني والسوري . الحاج ابراهيم العموش صاحب بقالية بابا عمرو التي أصبحت أشهر من نار على علم – كما يقال - في مدينة المفرق حدثنا عن سبب اختياره لهذا الاسم وماالذي يعنيه بالنسبة له قائلاً:

ساعة حمص

ساعة حمص الجديدة التي بنيت على نفقة المغتربة الحمصية كرجية حداد عام 1951 حملها اللاجئون السوريون في قلوبهم وجوانحهم لدرجة أن أحدهم أطلق اسمها على محل للمعجنات يملكه في المفرق ، يقول السيد زياد المغربل صاحب محل (ساعة حمص) :

شامة على خد الثورة السورية

وهناك الكثير من معالم مدينة حمص التي يطلق عليها الكثيرون لقب عاصمة الثورة السورية لا زالت حاضرة في ذاكرة أبنائها الذين هجروها هرباً من آلة القتل والدمار ويقول السيد " بري القباني " صاحب محل (حمص القديمة): عندما يذكر اسم بلد ما يجد الإنسان نفسه مشدوداً بخيط سري إلى المكان الذي ولد فيه وقد اخترت اسم (حمص القديمة) تعبيراً عن شوقي وحنيني لهذه المدينة ولحي باب هود – أحد أحياء حمص القديمة – الذي ولدت وترعرعت فيه وأصبحت هذه المدينة الجميلة تمثل بالنسبة لي الصلة التي تربطني بالعالم ويضيف السيد القباني : أثار هذا الاسم مشاعر الحنين والإرتباط لدى عدد كبير من السوريين والحماصنة على وجه الخصوص ، كما أثار الغرابة لدى بعض الأردنيين,وحمص القديمة اليوم تمثل الحصن الأخير من هذه المدينة الثائرة وقد تعرضت بيوتها ومساجدها القديمة وأسواقها الأثرية لحملة تدمير منظمة لم تبقي منها شيئاً ولكن مع ذلك ظلت هذه المدينة بمثابة الشامة على خد الثورة السورية.

بالتعاون مع مركز توثيق الانتهاكات

الاسم أليس مفرج
المحافظة السويداء
لجنس أنثى - بالغة
إسم الام
لعمر 0
الوضع العائلي
لمنطقة القريا
المهنة مدرسة: لغة عربية, عضوة في المجلس المركزي
لهيئة التنسيق الوطنية
الرقم الوطني
رقم الهويه
تاريخ الاعتقال 30-12-2013
مكان الاعتقال دمشق: البرامكة
خلفية الإعتقال
الوضع القضائي
تاريخ الإفراج 00-00-0000
معلومات اضافيه تم اعتقالها عند مراجعتها للإدارة
الهجرة و الجوازات في دمشق. هذا هو الاعتقال الثاني
لها.

الاسم فاتن جوهر
المحافظة ريف دمشق
الجنس أنثى - بالغة
إسم الام
العمر 0
الوضع العائلي متزوجة ولديها أولاد
المنطقة دوما
المهنه
الرقم الوطني
رقم الهويه
تاريخ الاعتقال 31-12-2013
مكان الاعتقال دمشق: العدوي
خلفية الإعتقال
الوضع القضائي
تاريخ الإفراج 00-00-0000
معلومات اضافيه اعتقلت مع ابنتها سما.

الاسم مها خبية

المحافظة ريف دمشق

الجنس أنثى - بالغة

إسم الام

العمر 0

الوضع العائلي متزوجة ولديها أولاد

المنطقة دوما

المهنه

الرقم الوطني

رقم الهويه

تاريخ الاعتقال 31-12-2013

مكان الاعتقال دمشق: العدوي

خلفية الإعتقال

الوضع القضائي

تاريخ الإفراج 00-00-0000

معلومات اضافيه معتقلة مع ابنتها راية و ابنها وائل.

الاسم محمد عباس المحمد

المحافظة حماه

الجنس ذكر - بالغ

إسم الام

العمر 44

الوضع العائلي

المنطقة اللطامنة

المهنه موظف حكومي

الرقم الوطني

رقم الهويه

تاريخ الاعتقال 30-12-2013

مكان الاعتقال حماه: محردة

خلفية الإعتقال

الوضع القضائي

تاريخ الإفراج

معلومات اضافيه موظف في مالية محردة,تاريخ الإفراج هو تاريخ ورود خبر الموت تحت التعذيب في المعتقل,رفض النظام تسليم جثمانه,ذكرت وسائل إعلام النظام أنه تم قتل ثلاث إرهابيين وهم يزرعون ألغام على طريق محردة سلحب وذكروا أسم الشهيد من بين الثلاثة

الاسم أديبة طارق الفيل

المحافظة حماه

الجنس أنثى - بالغة

إسم الام

العمر 0

الوضع العائلي

المنطقة السلمية

المهنه

الرقم الوطني

رقم الهويه

تاريخ الاعتقال 29-12-2013

مكان الاعتقال حماه: السلمية

خلفية الإعتقال

الوضع القضائي

تاريخ الإفراج 00-00-0000

معلومات اضافيه أعتقلت من قبل اللجان الشعبية التابعة ل»فاضل محمد وردة»موجودة حاليا في مقر «الشيخ علي»

الاسم لورا سليمان

المحافظة دمشق

الجنس أنثى - بالغة

إسم الام

العمر 0

الوضع العائلي

المنطقة السلمية

المهنه

الرقم الوطني

رقم الهويه

تاريخ الاعتقال 29-12-2013

مكان الاعتقال حماه: السلمية

خلفية الإعتقال

الوضع القضائي

تاريخ الإفراج 00-00-0000

معلومات اضافيه أعتقلت من قبل اللجان الشعبية التابعة ل»فاضل محمد وردة»موجودة حاليا في مقر «الشيخ علي»

يوميات دمشقية

الموت ... ولا المذلة

سلمى الكريش

بكل إباء وشمم قررت زيارة أقاربي في حي التجارة شرق دمشق، ومع اني استيقظت باكرا لألحق الشوارع فارغة، إلا أنني كلما قلت لسائق اريد الذهاب الى التجارة، فرّ دون حتى اعتذار ولو بإيماءة، جربت التحايل بتغيير اسم المكان فمرة اقول القصاع واخرى العباسيين وثالثة شرق التجارة ورابعة العدوي؛ لكن دون جدوى .. وهي جميعها أحياء على تخوم الجحيم، الى أن وافق سائق مقدام، بشرط ان ادفع ألف ليرة!!.. خمسة اضعاف التسعيرة، فرفضت بشمم وإباء هذا الاستغلال السافر لأزمتي. ثم فقدت الأمل بأن يرأف بحالي اي سائق تاكسي، ولا الومهم فالكل يخاف من حواجز شارع بغداد والعدوي والتجارة، الحواجز التي يتواجد عليها أحيانا كثيرة عناصر أمن من فرع الجوية الفرع الاكثر رعبا، ولهؤلاء سحنات متوحشة، ينتشرون على مشارف الأحياء الساخنة، وبالكاد يظهرون في الأحياء الباردة أو "المنطقة الخضراء". في هذه الأحياء تزداد لطافة ونظافة العسكر كلما اقتربنا أكثر من القصر!! هناك الحواجز مرتاحة، على العكس من الحواجز السيئة الصيت مثل حاجز نهر عيشة على مدخل دمشق الجنوبي، وحاجز الزبلطاني وسوق الهال والتجارة شرق دمشق، وشارع بغداد والعدوي وسط والمزة قريبا من المطار العسكري المطل على داريا، وحاجزي الربوة والضاحية غرب هذه الحواجز التي تسد شرايين دمشق الواصلة الى قلبها، لم تعد حواجز عادية، بل هي اقرب الى معسكرات من المتاريس مزينة باطارات كاوتشوك تعلوها صور الرئيس بالبراويز العريضة، مذيلة بعبارات مثل: "صغيرة... يا كبير"!!...

وعبور تلك المعسكرات التي تقسم الشارع الى حارتين خط عسكري وخط مدني، يأخذ ما لا يقل عن ساعتين حسب العجقة، واي مشوار عادي يتطلب تفرغ نهار كامل، أما المساء فهو لالتقاط الأنفاس والعلاج النفسي.. وبينما افكر بالعودة عن مشروع الزيارة ، جاء من غامض علمه، قريب لي كان متجهاً الى شرق دمشق بسيارته، طلبت منه أن يوصلني في طريقه، وعند اول حاجز اصطادنا ازدحام خانق، فعلقنا واستسلمنا للانتظار، رحنا نبدد الملل بالثرثرة، فأخبرته وأنا اهز رأسي فخراً كيف حاول التاكسي استغلالي وطلب ألف ليرة واني رفضت بكل إباء وشمم .. ولمزيد من التسلية رحت استعرض بعض الفيديوهات الطريفة في الموبايل، ولم انتبه لوصولنا الى الحاجز، وفوجئت بالعسكري يسألني:

- ماذا تصورين ؟ طالباً تفتيش الموبايل والهوية؟

و من كلمة الى كلمة، فهمت أنه استحلى الموبايل وسيصادره، وأيّ كلمة او حركة إباء وشَمَم، ستجعله يُصادرني مع الموبايل ويودعني في أقرب قبو .. تخلّيت عن الموبايل ونفدت بريشي.. اجتزنا الحاجز بعد ان داهمني صمت ثقيل.. زعزعه قريبي بضحكة شماتة اتبعها بسؤال:

- هكذا إذن .. رفضتِ دفع اجرة تاكسي ألف ليرة؟

- نعم رفضت بكل إباء وشمم .. الموت ولا.. المذلة.